

مكتبة لسان العرب  
www.lisanarb.com  
lisanerab.com  
رابطه بديل

الجمهورية التونسية  
وزارة التربية الوطنية

# كتاب التلميح

لثلاث سنوات من التعليم الثانوي

إعداد  
إعجاز الحوسبي

مدير معهد ثانوي

فاضل البكوش

مفتقد للتعليم الثانوي

هدية العراق

إلى القطر التونسي الشقيق

المركز القومي للدراسات والبحوث

سنة 1977

الجمهورية التونسية  
وزارة التربية الوطنية

# كتاب التلميح

لتلاميذ السنة الثانية من التعليم الثانوي

عبد الحامد الجوسي

مدير معهد ثانوي

فاضل البكوش

مفتد التعليم الثانوي

المركز القومي للبيداغوجي  
نشرة سنة 1977

هدية العراق  
الى القطر التونسي الشقيق

المحور الأول

ظهور الإسلام وانتشاره



# مكتبة لسان العرب

أ. علاء الدين شوقي

رابطہ بديیل  
lisanerab.com

www.lisanarb.com



twitter مكتبة لسان العرب

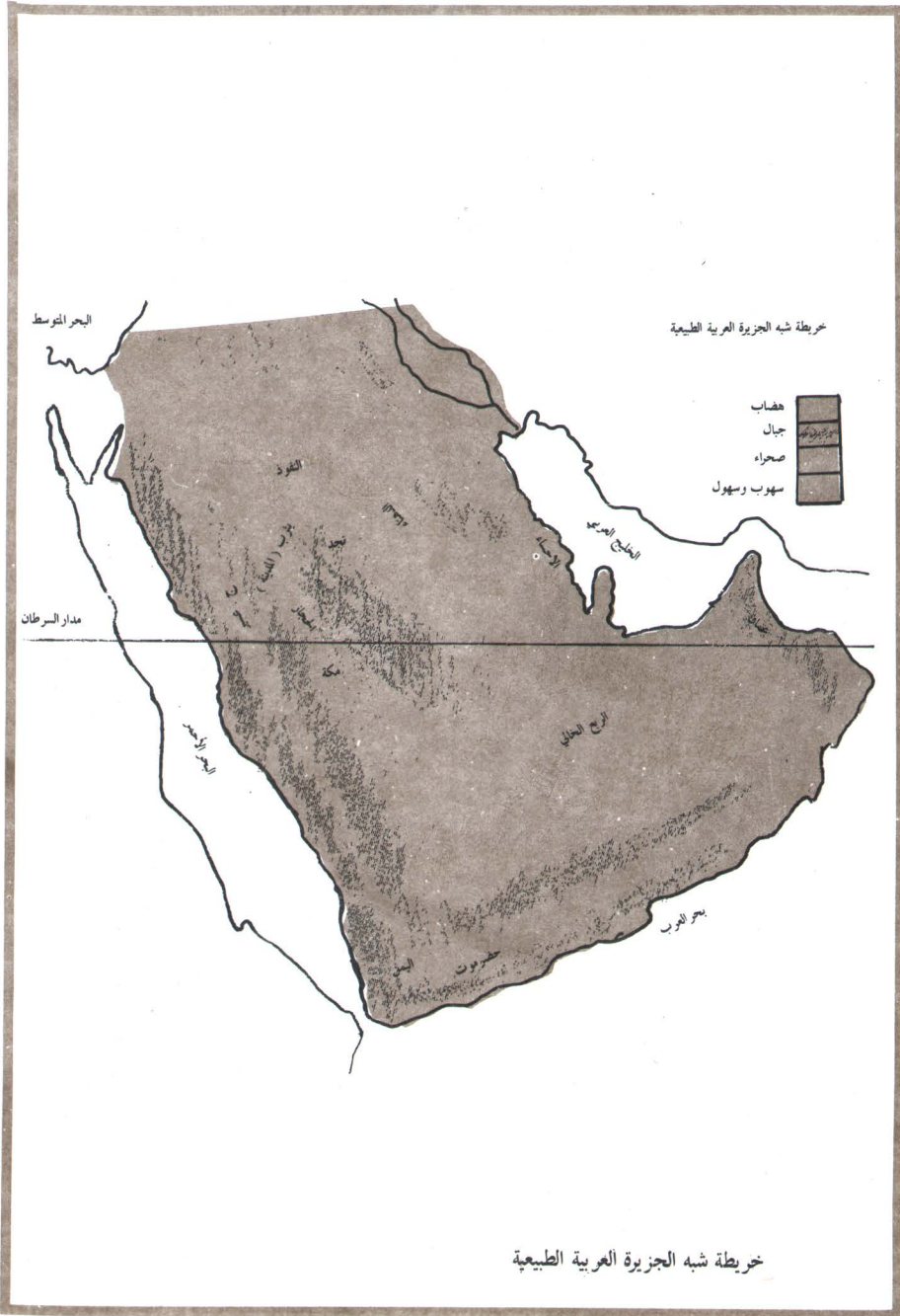


facebook مكتبة لسان العرب



instagram مكتبة لسان العرب





## الجزيرة العربية قبل الاسلام

ظروف طبيعية قاسية ، عيشة بسيطة في ظل نظام قبلي ، تبعية للفرس والبيزنطيين والاحباش كان ضحيتها بعض القبائل العربية شمالا وجنوبا ، معتقدات دينية متعددة ، تلك هي نحة عن حياة الانسان العربي في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام .

### I الظروف الطبيعية :

#### 1 الموقع :

تفحص خريطة شبه الجزيرة العربية ؟ حدد موقعها ؟ بين ظروفها الطبيعية ؟ . تقع شبه الجزيرة العربية أو « جزيرة العرب » كما يسميها العرب أنفسهم في جنوب غربي قارة آسيا ، وفي ملتقى ثلاث قارات ، هي ، آسيا وافريقية وأوربا ، وفي طريق القوافل التجارية بين الشرق والغرب .

يحدها البحر من ثلاث جهات : البحر الاحمر من الغرب ، وبحر العرب والمحيط الهندي من الجنوب ، والخليج العربي من الشرق .

وتقدر مساحتها بنحو 2.800 000 كم<sup>2</sup>

#### 2 البيئة الطبيعية :

يخترق مدار السرطان شبه الجزيرة العربية التي هي امتداد للصحراء الكبرى الافريقية ، ومن هنا كان معظم اراضيها اراضي جربة صحراوية . جبلية ، تمثلت في صحراء النُفُود التي تغطي معظم شمال بلاد العرب ، وصحراء الدهناء التي تمتد من نجد شمالا الى حضرموت جنوبا ، ومن اليمن غربا الى عمان شرقا ، وأشد جهاتها قسوة تعرف باسم الربع الخالي ، وفي داخل هذه الحلقة من الصحاري يبرز قلب مرتفع هو هضبة نجد . أما المناطق الجبلية فتمثلت في سلسلة جبال عسير الممتدة من الشمال ، بمحاذاة البحر الاحمر ، الى اليمن من الجنوب ، ثم تنعرج نحو الشرق ، فتكون جبال حضرموت ، وتختفي هذه السلسلة الجبلية لتظهر مرة أخرى في عمان . ولم يمنع هذا من وجود ارض خصبة قليلة المساحة تتركز بصفة خاصة على السواحل

كاليمن السعيدة ، التي تنزل بها كميات كبيرة من الامطار الموسمية ( الصيفية ) ،  
وحضرموت وألحسا ، وفي الواحات العديدة المنتشرة بداخلها .

## II تنقسم شبه الجزيرة العربية حضاريا الى ثلاثة اقسام

### 1 جنوب شبه الجزيرة العربية

يسمى هذا القسم باسم بلاد العرب السعيدة ، نظرا لخصوبة الارض ونزول الامطار الموسمية بها ، مما سهل الزراعة ، علاوة على وقوع اليمن على الطريق التجاري البحري الرابط بين مصادر الانتاج في الشرق الاقصى ، كالحريز والتوابل والعطور ، والاسواق الكبرى المطلة على شرقي البحر المتوسط .  
وقد أدى الثراء الذي تجمع لعرب الجنوب الى قيام ممالك زاهرة هي :

أ- مملكة معين :

تأسست هذه الدولة حوالي سنة 1500 قم ولا يعرف عنها الشيء الكثير ، ما عدا النقوش التي تركتها في شمال اليمن ، حول بلدة معين .

ب- مملكة سبأ :

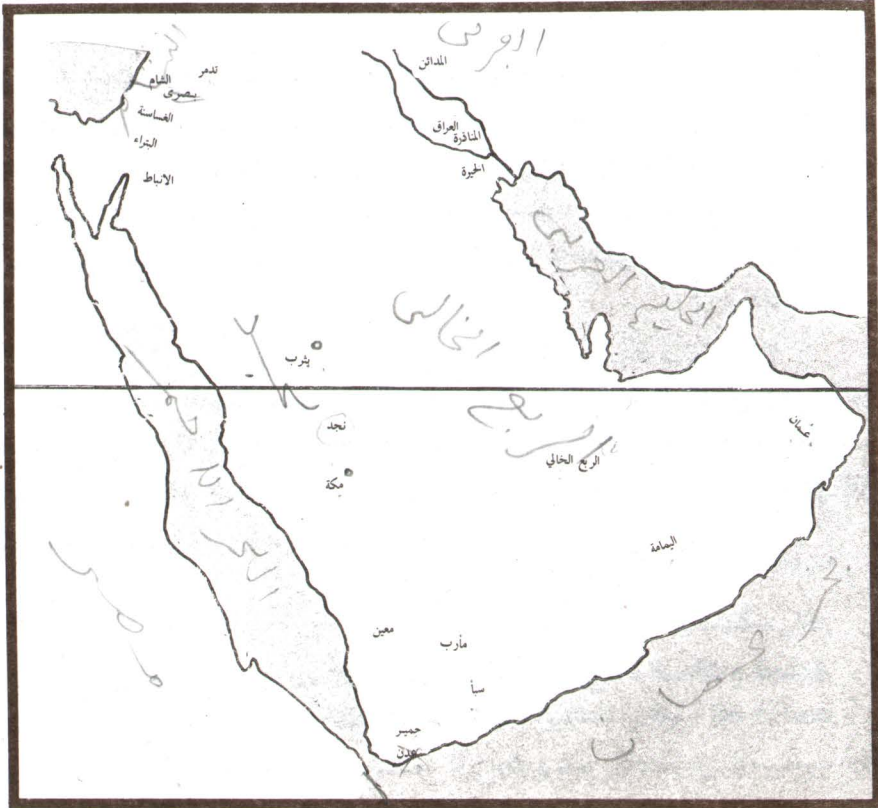
تأسست حوالي القرن الثامن قبل الميلاد ، على انقاض دولة معين ، وكانت عاصمتها مأرب التي اشتهرت بمبانيها ، وخاصة سدها العظيم الذي نسب اليها . وقد اهتمت بالزراعة فنظمت موارد المياه ، وبسطت نفوذها التجاري حتى البحر المتوسط . عن طريق سلسلة من المحطات التي شملت الى جانب مخازن التجارة مستودعات للأسلحة .

ج- مملكة حمير :

تأسست حوالي سنة 115 قم ، وقد تطّعت الامبراطورية الرومانية ، التي بسطت نفوذها على كامل سواحل البحر المتوسط ، للسيطرة على مضائق جنوب البحر الأحمر ، وإدخال اليمن تحت تبعيتها ، غير أن الحملات التي أرسلت باءت بالفشل . وقد حاولت الامبراطورية البيزنطية وريثتها في عهد جوستنيان السيطرة على اليمن ، لتأمين الطرق التجارية ، بعد أن سيطرت الامبراطورية الفارسية على الطرق الشمالية الرابطة بين الشرق

والغرب ، وقد استغلت الامبراطورية البيزنطية - حامية المسيحية - النزاع الذي نشأ بين اليهودية التي اعتنقها ذونواس الملك الحميري ، والمسيحية التي انتشرت هي أيضا باليمن ، فأوعزت إلى نجاشي الحبشة ، بوصفه مسؤولا عن حماية المسيحيين المجاورين ، للانتقام من دولة حمير ففعل ، وهكذا قضي على دولة حمير وفرملكها محتما بالفرس . وأسس القائد الحبشي أبرهة كنيسة بصنعاء لتحويل الحجاج اليها من مكة .

وساعد الفرس سيف بن ذي يزن الحميري لاسترداد نفوذ الحميريين على اليمن ، وهكذا تخلصت اليمن من نير الأحباش ، حلفاء البيزنطيين ، لتقع في براثن الفرس ، وتصدع سد مأرب المشهور عدة مرات نتيجة الاهمال والاضطرابات السياسية ، وانتقلت اليمن الى أحضان الفقر ، حتى ظهر الاسلام فخلصها من الحكم الاجنبي ووضعها المتدهور .



1 الممالك العربية قبل الاسلام

## 2 شمال شبه الجزيرة العربية

اشتمل هذا الجزء من بلاد العرب على مناطق صحراوية تتخللها مراعي امتدت الى شمالها سهول خصبة من العراق وبلاد الشام واستقرت على اطرافها الجنوبية قبائل عربية هاجرت من وسط وجنوب الجزيرة العربية ، وأسست هذه القبائل ممالك بحكم مجاورتها لمناطق ذات حضارات راقية .

### أ- مملكة البتراء :

سميت هذه المملكة باسم عاصمتها ، وتسمى أيضا مملكة الانباط نسبة الى سكانها ، وقد امتد نفوذها الى دمشق شمالا ، ومدائن صالح جنوبا ، والفرات شرقا ، قضت عليها الامبراطورية الرومانية سنة 105 م ، تنفيذًا لسياستها التي ترمي الى القضاء على كل من عظم شأنه .

### ب- مملكة تدمر :

عاصمتها تدمر ، تجمعت حولها القبائل العربية بعد القضاء على دولة الانباط ، وذاعت شهرتها بسبب موقعها على منطقة الحدود القارسية الرومانية ، وتمتعها بنوع من الحياض ، أتاح لها الاشراف على التبادل التجاري بين الفرس والرومان ، وتولت الحكم ملكة لقبت بالزباء بعد قتل زوجها واتهمت الرومان بقتله ، وحراربتهم حتى وصل نفوذها مصر وآسيا الصغرى ، غير أن الرومان عبثوا قواتهم وحطموا تدمر سنة 273 م .

### ج- مملكة الحيرة أو دولة المناذرة :

تأسست هذه المملكة غربي نهر الفرات ، وكانت تابعة لدولة الفرس ومن اشهر ملوكهم النعمان الاول الذي بنى قصري الخورنق والسدير وقد اعلن العرب رفضهم لسيطرة الفرس فالتقوا عند موقع يقال له ذي قار نشبت عنده معركة عرفت بمعركة ذي قار التي انتصروا فيها وتحرروا من السيطرة الفارسية .

### د- مملكة الغساسنة :

وهي المملكة التي عاصرت مملكة الحيرة ، تأسست على أطراف الشام الجنوبية ، اثناء القرن الرابع الميلادي ، وقد حالف الغساسنة الروم البيزنطيين لحماية الطرق التجارية على حدود بلاد الشام وحاربوا الى جانبهم الفرس والمناذرة



واتسع نفوذ الغساسنة حتى ، شمال جبال لبنان شمالاً ، وفلسطين غرباً ووادي الاردن واعتنق الغساسنة المسيحية ، و حاربوا دولة الحيرة والفرس ، غير ان الامبراطورية البيزنطية على عاداتها كسرت شوكة الغساسنة ، وأبقتهم تحت التبعية في الصورة التي تحددها لهم .

2

#### اتصال العرب بالفرس والروم

وقد سكن طوائف من العرب من ربيعة ومضر الجزيرة حتى صارت لهم بها ديار ومراع .. فنزلوا على خفارة فارس والروم حتى ان بعضهم تنصروا وان بدين النصرانيين مع الروم مثل تغلب ابن ربيعة بارض الجزيرة ، وغسان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام .

- المسالك والممالك لابن حوقل -

3 .) وسط شبه الجزيرة العربية<sup>3</sup>

لقد كان الحجاز محاطاً بمؤثرات حضارية منبعثة عن مصادر بيزنطية وفارسية ويمنية وحبشية ، وكان الغساسنة والمناذرة واسطة في نقل هذه المؤثرات الحضارية ، غير أن هذا التأثير لم يكن قوياً ، فلم تتأسس بالحجاز دول كالتي تأسست في شمال او جنوب شبه الجزيرة العربية ، وظلت الوثنية معتقد أهل الحجاز ، كما ان هيمنة الفرس والبيزنطيين والاحباش لم تلحق الحجاز .

#### أ الجاهلية :

لا تعني كلمة الجاهلية الجهل نقيض العلم او الغضب كما يتبادر الى الذهن ، لأن المجتمع العربي كانت له نظمه ومظاهره الحضارية ، ولكن يقصد بالجاهلية التي شاع استعمالها بعد ظهور الاسلام ، ذلك العصر الذي لم يكن للعرب فيه كتاب منزل او رسول يوحى اليه .

#### ب الحياة القبلية :

عاش سكان شبه الجزيرة العربية اوبالاحص الحجاز على شكل قبائل متفرقة ، تجمع أفرادها رابطة الدم غالباً ، وتتركز هذه القبائل حول الواحات ، في بيوت من الشعر ليسهل نقلها عند الترحال ، وكان الماء والمرعى والارض الصالحة للزراعة ملكاً مشاعاً بين أفراد القبيلة ، ويؤأس القبيلة شخص يدعى الشيخ ، ينتخب لكبر سنه وشجاعته ورايه السديد وغناه

وكرمه ، ومهمته المحافظة على وحدة القبيلة وانسجام افرادها مع بعضهم ، يساعده مجلس القبيلة ، واعتبروا كل غريب عن القبيلة « ذليلاً » ومن يحرم من حمايتها « خليعاً » . وكان من عادة بعض العرب « وأد البنات » حفظاً للشرف .



3 يعتبر العرب الجمل سفينة الصحراء وودية القتيل وغنى القبيلة ووحدة قياس مهر العروس .  
اما الطعام البدوي فكان قوامه التمر والحليب

وكان العرب يقضون أوقات فراغهم في تعلم الرماية والفروسية او الصيد او السباق او لعب الميسر او شرب الخمر او قول الشعر ، حيث أعدت سوق عكاظ بمكة خصيصاً لذلك .

### ترحال القبائل العربية

يقول الهمداني عن تنقل قبيلة الازد : ... ولما خرج عمرو مزيباء ابن عامر ماء السماء هو مالك بن اليمان من مأرب في جماعة الازد ... وأقاموا بتهامة ما أقاموا حتى وقعت الفرقة بينهم وبين كافة عك ، فساروا الى الحجاز فرقا فصار كل فخذ منهم الى بلد فمنهم من نزل السروات ، ومنهم من تخلف بمكة وما حولها ، ومنهم من خرج الى العراق ومنهم من سار الى الشام ، ومنهم من رمى قصد عمان واليسامة والبحرين ... ولحق الكثير من ولد نصر بن الأزد بنواحي الشحر وأطراف بلاد فارس .

الهمداني صفة جزيرة العرب

4

### ج أيام العرب : 5 . 6

5

### امرؤ القيس يصف فرسه

مكرم فمرمقبيل مدبر معـا  
كجلمود صخر حطه السيل من عل  
كبيت يزل اللبد عن حاذ متنه  
كما زلت الصفواء بالمتنزل  
مسح اذا ما السابحات على الونى  
أثرن غباراً بالكديد المركل  
يزل الغلام الحف عن سهواته  
ويلوى باثواب العنيف المتقل  
له ايطاليا ظبي وساقا نعامة  
وارخاء سرحان وتقريب تنفل  
ضليع اذا استدبرته سد فرجه  
بضاف فوق الارض ليس بأعزل

حدثت حروب بين القبائل العربية سميت « بأيام العرب » بسبب الماء او الشرف او الأخذ بالتأر ، وكان العرف السائد أن الدم لا يغسله الا الدم .  
 لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم .  
 وقد تحالف بعض القبائل مع بعضها لدرء الاخطار ، وتخدم هذه الحروب نتيجة توسط قبيلة محايدة . ومن أحدث الحروب القبلية التي خلدتها قصائد الشعراء ، حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب من أجل قتل ناقه . استغرقت أربعين سنة . ومن اشهر شعراء هذه الحرب المهلهل ، وحرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبيس وذبيان من أجل سباق فرسين . وقد اشتهر في هذه الحرب الشاعران عترة بن شداد العبيسي وزهير بن ابي سلمى . وكانت للشاعر مكانة مهمة في قبيلته التي اعتبرته حكيمها ومرشدها ومؤرخها والمتكلم باسمها .

6

### زهير بن أبي سلمى يدعو الى السلم ويصف هول الحرب

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله  
 رجال بنوه من قريش وجرحهم  
 يميناً لنعم السيدان وجدتما  
 على كل حال من سجيل ومبرم  
 تداركتما عيباً وذبيان بعدما  
 تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم  
 الا ابلغ الأحلاف عني رسالة  
 وذبيان هل أقسمتم كل مقسم  
 فلا تكتمن الله ما في صدوركم  
 ليخفى ومهما يكتب الله يعلم  
 يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر  
 ليوم الحساب او يعجل فينقم  
 وما الحرب الا ما علمتم وذقتهم  
 وما هو عنها بالحديث المرجم  
 متى تبعثوها تبعثوها ذميمة  
 وتضر اذا ضريرتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحي بثقالها  
 وتلقح كشافا ثم تتج فتنم  
 فتتج لكم غلمان أشام كلهم  
 كأحمر عاد ثم ترضع فتنم  
 ومن هاب أسباب المنايا ينانه  
 ولورام أسباب السماء بسلم  
 ومن يك ذا فضل فيخل بفضله  
 على قومه يستغن عنه ويذمم  
 ومن لا يزال يستر حل الناس نفسه  
 ولا يعفها يوماً من الذل يندم  
 ومن يغترب يحسب عدواً صديقه  
 ومن لا يكرم نفسه لا يكرم  
 ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه  
 يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم  
 ومن لم يصانع في أمور كثيرة  
 يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم  
 ومن يجعل المعروف من دون عرضه  
 يفره ، ومن لا يتق الشتم يشتم  
 ومن يجعل المعروف في غير أهله  
 يكن حمده ذماً عليه ويندم  
 ومهما تكن عند امرئ من خليقة  
 وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ومن أشهر شعراء الجاهلية امرؤ القيس وعمرو بن كلثوم والنابغة الذبياني وليد والخنساء  
 والشفري وتابط شراً . وقد علق أحسن القصائد بالكعبة ، المكان المقدس عند العرب  
 من قبل الاسلام .

#### د الحياة الاقتصادية :

نظراً للظروف الطبيعية السائدة في شبه الجزيرة العربية من جفاف ، واشتداد للحرارة ،

وانتشار الصحارى والجبال والصحور البركانية . فانها قليلة الانتاج . يتركز السكان حول الواحات . لتربية الحيوانات ، وخاصة الابل ، حيث يعتبر الجمل عند العرب سفينة الصحراء . ووحدة قياس مهر العروس ، وذية القتيل ، وغنى القبيلة . أما تربية الخيول فقد كانت من خصائص الاثرياء ، نظراً لقلتها ، وصعوبة تربيتها . أما الزراعة فكانت أهمها غراسة النخيل ، ذلك أن قوام الطعام عند البدوي التمر والحليب ، الى جانب بعض أشجار الفواكه وزراعة الحبوب . كما كان العرب يقومون بالتجارة الموسمية مع الشام في فصل الصيف واليمن في فصل الشتاء . نظراً الى أن المحاصيل المحلية لا تكفي لسد الحاجة .

## هـ من أهم مدن الحجاز

مكة :

تعني كلمة مكة المكان المقدس ، أي انها كانت في أول عهدها مقاماً دينياً ومركزاً للعبادة قبل الاسلام ، فقد كانت مكان اوثان العرب وأصنامهم ، وتضم تماثيل الآلهة هبل واللات والعزى ومناة .

تقع مدينة مكة في الجزء الجنوبي من تهامة بالحجاز على بعد ثمانية وأربعين ميلاً من البحر الأحمر ، في واد قفر صخري وصفه القرآن بأنه « واد غير ذي زرع » وفي طريق القوافل التجارية بين اليمن والشام ، وبذلك كانت محطة استراحة ، تنصب فيها الاسواق للبيع والشراء ، فمهر أهلها في شؤون التجارة ، وتكونت طبقة تجارية موسرة ، امتلكت حتى العبيد ، ووجهت هذه الطبقة الموسرة تجارتها نحو الشام في فصل الصيف ونحو اليمن في فصل الشتاء ، وارتفعت مكانة مكة دينياً وتجارياً ، وسمت منزلة سوق عكاظ التي أصبحت ملتقى الخطباء والشعراء ، الذين تباروا في القاء قصائدهم و كانت الجيدة منها تعلق في الكعبة ، المكان المقدس عند العرب ، وفي فناء البيت تدفقت مياه بئر زمزم المشهورة .

وتولت قبيلة قريش حماية الكعبة ، وكان يرأسها عبدالمطلب جد النبي عندما هاجمها القائد الحبشي أبرهة-الذي كان أسس كنيسة بصنعاء بعد احتلال اليمن والتغلب على دولة حمير- بغية القضاء على مكانة مكة باحتلالها وتحطيم الكعبة ، فاتجه نحوها بفيله وجيشه الجرار غير أن الله « أرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول » .

## مدينة يثرب :

تقع مدينة يثرب على نحو 300 ميل من مكة في سهل وافر المياه ، وقد حبتها الطبيعة بمزايا لم تعرفها مكة ، من طيب الهواء ، وجودة التربة ، ولم تكن يثرب على طريق القوافل التجارية التي تحمل البضائع كالطيوب بين اليمن والشام فحسب ، بل كانت واحة حقيقية ، ذات تربة صالحة لغراسة النخيل الذي تعددت به أنواعه ، وقد استقر السكان في بيوت مبنية تحيط بها أشجار النخيل والحدائق والحقول المزروعة ، وهكذا كانت يثرب مقصد القبائل العربية للتموين والاستراحة .

سكنها عدد من اليهود ، غير ان السيطرة كانت بيد الوثنيين من قبيلتي الاوس والخزرج وهما قبيلتان اشتد بينهما الصراع على سيادة المدينة وكانت الغلبة تارة للخزرج ، وطوراً للأوس ، حتى جاء الاسلام فأخى بينهما وقضى على النزاع .

## و الحياة الدينية :

عبد العرب كغيرهم من الشعوب القديمة ، الظواهر الطبيعية ، وشكلوها بأشكال مختلفة ، ونحتوا لها التماثيل ، واعتقدوا بأنها تنفع وتضر . وتعددت هذه الالهة بتعدد القبائل وأهمها هبل واللات والعزى ومناة ونسرو يعوق ويعوث .  
ولما كان العرب البدويترددون على مدن الحجاز للتجارة ، فقد عبدوا معبودات مكة الى جانب معبوداتهم المحلية ، بذلك شاعت شهرة مكة قبل الاسلام ، وصارت الكعبة في الجاهلية مقر أوثان العرب وأصنامهم ، وقصدوها للقيام بطقوسهم الدينية ، وهكذا وجدت عادة الحج او العمرة في الأشهر الحرم ، وهي ذوالقعدة وذوالحجة ومحرم ورجب . واعتنق بعض سكان مدينة يثرب اليهودية ، بينما اعتنق البعض الاخر الوثنية ، وقد رأينا ان اليهودية والمسيحية انتشرت في جنوب شبه الجزيرة العربية ، بينما اعتنق سكان شمال شبه الجزيرة العربية المسيحية ، بتأثير البيزنطيين .  
من هنا نرى الانقسام الديني والسياسي الذي كان عليه سكان شبه الجزيرة العربية . وتعمق هذا التشتت في النفوس مما جعل عملية توحيد العرب عقائدياً وسياسياً واجتماعياً أمراً عسير جداً ، ولكن الاسلام حقق بمجيئه هذه المعجزة ..



تتسم جميع الاديان بأنها تفرض طابعها على التاريخ الانساني وان الانبياء والرسل يساهمون بنصيب معين في حضارة شعوبهم ، ولكن لم تقم اية ديانة بمثل ما احدهه الاسلام في صورة سريعة ومباشرة من تغييرات كان لها تأثير في شتى انحاء العالم ، كذلك لم يحدث بتاتا أن صار رسول اية ديانة جديدة سيد قومه وزمانه مثلما اصبح عليه محمد ﷺ

## I الرسول بمكة

### ( 1 ) نشأته

ولد محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بمكة سنة 571 م ، وسميت تلك السنة بعام الفيل ، وهي السنة التي هاجم فيها القائد الحبشي أبرهة مكة على رأس جيش به عدد من الفيلة بغية تهديم الكعبة وتحويل الحجاج الى الكنيسة التي أسسها بصنعاء .

ترعرع الرسول مع المشاكل اذ توفي والده وهو مازال في بطن أمه ، فكفله جده الذي كانت بيده رئاسة القبيلة وسدانة الكعبة ، وسلمه الى السيدة حليمة السعدية بالبادية لترضعه وتوفيت أمه آمنة بنت وهب وهو في السادسة من عمره ، وتوفي جده وهو في التاسعة من عمره ، فكفله عمه أبو طالب .

وقد سعى منذ صغره في طلب الرزق ، فرعى الأغنام ، ثم امتهن التجارة باموال الناس ، على أن يقتسم معهم الارباح ، وقد ساعدته هذه المهنة على التعرف على نفسيات الناس وأحوالهم ، وقد اشتهر بين قومه بأخلاقه الحميدة رغم فقره ، فلقبوه بالأمين وأجلوه .

تزوج بخديجة بنت خويلد وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، فوجد فيها خير النساء ، ولدت له ابنين ذكرين هما عبدالله والقاسم لكنهما توفيا صغيرين ، وبنات منهن فاطمة الزهراء التي تزوجت ابن عمه عليا بن ابي طالب ورقية وأم كلثوم .

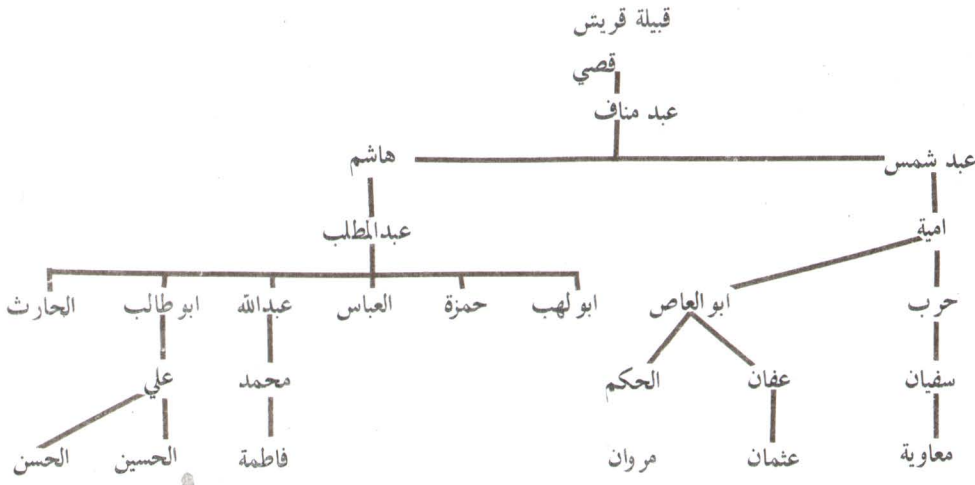
### ( 2 ) نزول الوحي

اعتاد الرسول ان يذهب الى غار بأعلى جبل حراء القريب من مكة للتأمل والاستلهام بعد أن تحقق من سخافة معتقدات قريش .



وفي يوم من الايام سمع صوتاً يأمره قائلاً : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ . وكان ذلك أول نزول الوحي . وممرت ايام عاد بعدها الصوت الى النداء قائلاً : يا ايُّها المَدْتْرُقِمُ فأنذِر . وبذلك أمر الرسول بتبليغ رسالة الاسلام الى الناس . ثم توالى نزول الوحي .

## 7 نسب الرسول



## 8 كيف كان يؤرخ العرب

تتقل ابناء اسماعيل : وأرخ بنو اسماعيل من بناء البيت حين بناه ابراهيم واسماعيل فلم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقت معد ، وكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا خروجهم ، ومن بقي تهامة من بني اسماعيل يؤرخون بخروج آخر من خرج منهم من قضاة وهم سعد ونهد وجهينة بنوزيد بن ليث بن سود بن اسلم ابن الحاف بن قضاة حتى مات كعب بن لؤي فأرخوا من موته الى القيل .  
-التنبيه والاشراف للمسعودي-

بدأت نبوة الرسول وهو في سن الأربعين . حين حمّله الله الرسالة الاسلامية ليدعو الناس الى عبادة الله الذي خلق الانسان من علق . والذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم . مبدع الكون . وخالق الموجودات . وليعلمهم بأن الانسان محاسب يوم القيامة إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

### 3 نشر الدعوة الاسلامية

أخذ الرسول في بادئ الأمر يدعو الى الاسلام سراً . مدة ثلاث سنوات . كل من يتق فيه . ويظنن الى استعداده النفسي لقبول مبادئه . وكان أول من آمن به رسولا زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وابو بكر الصديق . ثم أمر الرسول للجهر بالدعوة «فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين» غير انه لاقى معارضة شديدة من ارسقراطية قريش . التي لجأت الى اضطهاده واتباعه لانها وجدت في دعوته تقويضاً للنظام الاجتماعي والعقائدي والسياسي والاقتصادي الذي عاش العرب في ظله زمنا طويلاً . اذ دعت أركان الدين الاسلامي الى الاخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية والوحدة العقائدية والسياسية .

واشدد الاضطهاد بأصحاب الرسول . فنصحهم بالهجرة الى الحبشة حيث أكرمهم النجاشي هناك . وأمنهم على حياتهم . رغم محاولات قريش واغرائه لتسليم المهاجرين اليها . 9

وظل الرسول بمكة يدعو الى الاسلام . وتعصد جانبه باسلام عمر بن الخطاب . وهو شخصية لها مقام كبير بمكة .

وقاطعت قريش بني هاشم وبني عبد المطلب « فلا يتاجرون معهم . أويكلمونهم . أويجالسونهم . أويزوجونهم . أويتزوجون منهم حتى يسلم إليهم محمد ليقتلوه » وكتبوا ذلك بصحيفة علقوها بالكعبة . تأكيداً على أنفسهم . والتزاماً لما قرروا . ودامت هذه المقاطعة ثلاث سنوات . فشلت خلالها وسيلتهم . وعادت المعاملات بين قريش وبني عبد المطلب وبني هاشم .

وتوفيت . عقب ذلك بقليل . زوجته خديجة . ولم يلبث أن لحق بها عمه أبو طالب . ففقد الرسول بذلك أكبر مؤازرين له . وانتقلت رئاسة القبيلة الى عمه أبي لهب عدوه الألد غير ان الاضطهاد الذي لحقه واتباعه . دفعه الى البحث عن ميادين جديدة ينشر بها دعوته . فاتجه الى الطائف . ودعا أهلها الى الاسلام . غير أنهم لم يستجيبوا لدعوته .

سألت نجاشي الحيشة المهاجرين الى بلاده عندما وفد عليه وفد قريش طالبا اعادتهم :

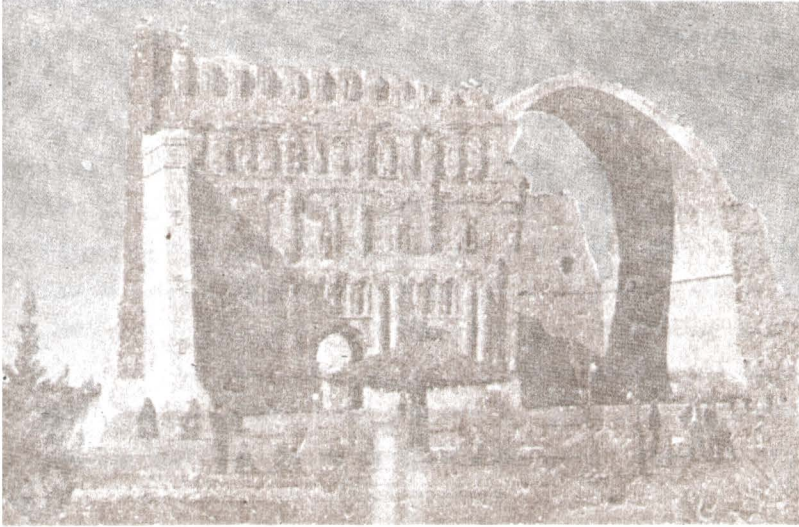
فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، قال :

أيها الملك ، كنا قوما اهل جاهلية ، نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلص ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والاوثان . وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وامرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا . وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام - وعدد عليه امور الاسلام - فصلقناه به واتبعناه على ما جاء به من الله . فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا . وحرمنا ما حرم علينا ، واحللنا ما احل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله ، وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك وأخترناك على من سواك ، ورجبنا في جوارك ورجونا الا نظلم عندك « فقال النجاشي :

وهل معك مما جاء به عن الله من شيء تقرؤه علي .

قال جعفر : نعم وتلا عليه سورة مريم من اولها الى قوله تعالى : ...

( فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا . قال اني عبدالله أتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبوا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا )



طاق كسرى

يقال انه عندما ولد الرسول خدمت نار الفرس واهتزت شرفات طاق كسرى

وحملوه على الخروج منها ، ذلك ان الطائف كانت وثيقة الصلة بمكة . ولقريش فيها مصالح اقتصادية عديدة تحول دون ارتباط تلك البلدة بالدعوة الاسلامية .

#### 4 بيعة العقبة

اتجه الرسول الى سوق عكاظ . ملتقى عرب بلاد الحجاز كلها . واجتمع هناك بوفود مدينة يثرب من قبيلتي الأوس والخزرج . فاحتكموا اليه في الخلاف الناشب بينهم . فعرض عليهم الرسول الاسلام الذي يدعو الى المؤاخاة . فطابت نفوسهم لما سمعوا . اذ كانوا لم يكثر استعدادا من غيرهم من وثني العرب لقبول الدعوة الاسلامية نتيجة لمجاورتهم اليهود الذين يؤمنون بوجود إله واحد . وبايعوه على الاسلام . وطلبوا منه الانتقال الى يثرب ، وتعرف تلك البيعة ببيعة العقبة . وهكذا مهدت الطريق لهجرة الرسول الى يثرب

#### 5 الهجرة

علمت قریش بتحالف الرسول مع عرب يثرب . فأمعنت في اضطهاده وأتباعه . فأمر الرسول أصحابه بالهجرة الى يثرب متفرقين مستترين . وخرج الرسول من داره خفية صحبة أبي بكر الصديق لما علم بتدبير قریش لقتله . متجها الى يثرب التي وصلها سالما في يوم 24 سبتمبر سنة 622 م . بعد أن فشلت قریش في اقتفائه اثره . وأصبحت فيما بعد سنة الهجرة بداية التاريخ الاسلامي . 11 10

استقبل أهل يثرب الرسول بالأناشيد ومما كانوا ينشدونه :  
أقبل البدر علينا      من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا      ما دعا لله داع  
أيها المبعوث فينا      جئت بالأمر المطاع

10

11

عن كتاب المعرفة والتاريخ  
هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة  
قال أبو بكر الصديق : أدلجنا من مكة ليلا فأحينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا ، فلما  
قام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من ظل ناوي إليه فاذا بصخرة ، فانتهت إليها  
فاذا بقية ظل لها فسويته ، ثم فرشت لرسول الله ﷺ فروة ، ثم قلت : اضطجع يا رسول  
الله . فاضطجع ، ثم ذهبت أنظر ما حولي هل أرى من الطلب أحدا ... وأتيت رسول الله  
ﷺ فوافقته وقد استيقظ ، فقلت : قد أتى الرحيل يا رسول الله . قال ( بلى ) ، فارتحلنا  
والقوم يطلبونا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت :  
هذا الطلب لحقنا . يا رسول الله فقال : لا تحزن إن الله معنا ، فلما إن دنا منا وكان بيننا  
وبينه قيد رمحين أو ثلاثة ، فقلت : هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله وبكيت . فقال  
ما يبكيك ؟ فقلت : أما والله ما على نفسي أبكي ولكن أبكي عليك . فدعا عليه رسول الله  
ﷺ فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها ، ثم قال : يا محمد قد علمت  
إن هذا عمك فأدع الله ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعمين ( على ) من ورائي ( من ) الطلب  
وهذه كنانتي فخذ منها حاجتك فانك ستمر بأبلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها  
حاجتك فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا في ابلك ، ودعا له رسول الله ﷺ فانطلق  
راجعا إلى أصحابه ، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدما المدينة ليلا .

21

## II الرسول بالمدينة

يمكن ان نقسم الفترة التي قضاها الرسول بالمدينة الى قسمين :

1 فترة التنظيم والدفاع

2 فترة الهجوم والتوسع

أ فترة التنظيم والدفاع

( أ ) التنظيم

عندما دخل الرسول مدينة يثرب . التي سميت بالمدينة أي مدينة الرسول بدأ في تنظيم الجماعة الاسلامية . حيث آخى بين المهاجرين « الذين هاجروا من مكة » والمسلمين من سكان المدينة الذين شرفهم بلقب الانصار . يساعدون بعضهم البعض . بل يتوارثون ارثا مقدما على القرابة . فأذهب وحشة الغربة عن المهاجرين . وانساهم فيما تركوا من خيراتهم بمكة . وقضى على كل نزاع بين الأوس والخزرج . وتولى الرئاسة الدينية والمدنية لكل المسلمين . وبذلك قضى على النظام القبلي . ونفوذ شيخ القبيلة . والانقسام الديني والسياسي . وأسس مسجده في المكان الذي بركت فيه ناقته التي أقلته من مكة الى المدينة . تؤدي فيه الصلوات . ويجتمع فيه المسلمون لتدبر شؤونهم . ووضع الأذان . وكان اول مؤذن بلال الحبشي صاحب الصوت الجميل . وفرضت صلاة الجمعة . كما فرضت الزكاة والصيام . وحولت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة . واتفق مع اليهود على ان لا يعتدوا على المسلمين . وان لليهود دينهم وللمسلمين دينهم 12 13

### اول بيان يصدره الرسول بالمدينة

( وثيقة )

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . انهم امة واحدة من دون الناس . المهاجرون من قريش على ربهم يتعاقلون بينهم وهم يفتدون عانهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنوعوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى ، وكل طائفة تفدى عانها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ... ولا يحالاف مؤمن مولى مؤمن دونه . وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو

12 ابتغى دسياسة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن ايدىهم عليه جميعا ولو كان ولد احدهم ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن . وإن ذمة الله واحدة بجير عليهم ادناهم . وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس . وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسلم مؤمن دون

مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم ... وإن المؤمنين المتقين على احسن هدى واقومه . وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به الا أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل . وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده الى الله والى محمد عليه الصلاة والسلام ... لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وانفسهم الا من ظلم أو اثم ... وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة . وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الأثم ... وإن النصر للمظلوم ... لا تجار قريش ولا من نصرها . وإذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ..



سكان المدينة عندما هاجر  
اليها الرسول

ب ( الدفاع - معركة بدر :

أمر الله الرسول بالجهاد في سبيل الله والدفاع عن الاسلام . فاعترض في السنة الثانية للهجرة سنة 623 م سبيل قافلة تجارية . عائدة من الشام غير أن أبا سفيان قائد القافلة غير الطريق . وسلك طريق الساحل : بعد أن علم بنية الرسول . وأرسل الى قريش يستنجد بها . فاشتد حماس قريش لمشاركة كل أفراد القبيلة في تمويل القافلة . ولتزعمتها لكل القبائل العربية . وقررت محاربة الرسول . واعدت العدة لذلك . وسمع الجيش . وهو في طريقه الى المدينة . برجوع القافلة الى مكة سالمة . فضعف حماسهم . غير ان زعماء قريش قرروا محاربة الرسول والتقى الجيشان ببدر التي تبعد عن المدينة حوالي عشرين ميلا . وكان جيش قريش ثلاثة أضعاف جيش المسلمين . وانتصر الرسول رغم قلة عدد جيشه . وذلك بالتنظيم الاسلامي الجديد المحكم والحماس الديني عند المسلمين .

ونزلت بهذه المناسبة الآية القرآنية : ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون

ب ( معركة أحد :

قررت قريش الرجوع في السنة الثالثة للهجرة 624 م ) للأخذ بالثار . وسمع الرسول باستعداد قريش لمحاربتة . فاستعد والتقى الجيشان بجبل أحد القريب من المدينة . وكان النصر حليف المسلمين في بداية المعركة . ولكن النتيجة تغيرت عندما نزل الرماة

المسلمون من قمة الجبل - مخالفين بذلك وصية الرسول بدلازمة أمكتهم مهما كانت النتيجة - اذ احتال المشركون عليهم وكان يقودهم خالد بن الوليد . الذي اوهم المسلمين بالفرار . وصعد بجيشه قمة الجبل . وهكذا اصبحت الغلبة لقريش وقتل في هذه المعركة عدد كبير من المسلمين منهم « حمزة » عم النبي وجرح الرسول نفسه .  
ج - معركة الخندق :

كون أهل مكة حلفا قويا ضد الرسول . وقصدوا بجيشهم البالغ حوالي عشرة آلاف مقاتل المدينة . بغية القضاء على الرسول واتباعه نهائيا وأبلغ الرسول فأمر المسلمين - بإشارة من سلمان الفارسي - بحفر خندق حول المدينة لحمايتها . وتحصن المسلمون خلفه . متربصين بالاعداء الذين وقفوا عاجزين عن اقتحام الخندق . وقد لقي حتفه كل من حاول اجتيازه . ولما يئس المهاجمون من التغلب على المدينة . وتعبوا من الحصول على الامدادات . وقست عليهم الطبيعة . اذ كان الفصل شتاء . قفلوا راجعين دون ان يحققوا اغراضهم وسلمت المدينة وسلم أصحابها . « وكفى الله المؤمنين القتال »

(2) فترة الهجوم والتوسع

أ- صلح الحديبية

في أواخر سنة 627 م أي في السنة الخامسة للهجرة اراد الرسول الذهاب الى مكة صحبة عدد من المهاجرين معتمرين . غير ان قريشا اعترضت سبيله ومنعته من ذلك . وتوصل الرسول بعد مفاوضات الى عقد صلح مع قريش وضعه على قدم المساواة معهم عرف بصلح الحديبية ومن شروطه :

ان يرجع الرسول في هذه السنة من حيث أتى . وله الحق في الذهاب الى مكة في السنة المقبلة .

توقف القتال بين الطرفين لمدة عشر سنوات .

لا يحق لمسلم أسلم بمكة الذهاب الى المدينة . في حين يحق لكافر من المدينة الذهاب الى مكة .

لا يجوز لقريش أن تساعد قبيلة معادية للرسول . ولا لاحدى القبائل المتحالفة معه . ولا يجوز للرسول ان يساعد قبيلة معادية لقريش او لاحدى القبائل المتحالفة معها .



وعاد الرسول الى المدينة بعد هذا الصلح . وذهب في السنة الموالية الى مكة دون ان يعترض سبيله احد . وأسلم اثناء هذه الزيارة خالد بن الوليد وعمرو بن العاص اللذان رفعوا الاسلام عاليا فيما بعد .

(ب) - طرد اليهود :

اخل اليهود بشروط الصلح الذي عقده مع الرسول فتجسسوا عليه وارسلوا اخباره الى اعدائه وساعدوا أهل مكة في هجومهم على المدينة . بل انهم تأمروا على قتله . فعرض عليهم الاسلام فامتنعوا . فقاتلهم وأجلاهم عن المدينة . والمناطق المجاورة لهم وهم بنو النضير وبنو قريضة ويهود خيبر وتصالح مع يهود فدك ووادي القرى وتيماء .

(ج) - فتح مكة :

لقد نص أحد شروط صلح الحديبية على ان لا تعتدي قريش على القبائل المحالفة للرسول . غير ان قريشاً أخلت بذلك الشرط . وساعدت قبيلة محالفة لها لمحاربة قبيلة محالفة للرسول . فاتجه الرسول بجيشه الى مكة . وانضمت اليه عدة قبائل ودخلوا مكة بدون قتال يذكر . وأعلن النبي العفو العام وأمر بتحطيم الاصنام وتطهير الكعبة . ثم فتح الطائف رغم حصونها المنيعه

(د) - مراسلات الرسول :

ارسل الرسول رغبة في توسيع نشر الدعوة الاسلامية - رسلا الى القبائل العربية في جميع انحاء شبه الجزيرة العربية يدعوها الى الدخول في الاسلام . فتوافدت عليه وفودها ملابن الدعوة وارسل اليهم من ينشر بينهم الاسلام ويعلمهم مبادئه . كما ارسل رسائل الى كسرى فارس وقيصر الروم ونجاشي الحبشة وحاكم مصر وملوك الغساسنة وحمير يدعوهم الى اعتناق الدين الاسلامي . وقد رد عليه بعضهم ردودا حسنة وهدايا . وأسلم حاكم اليمن . وادعى النبوة عدد من الناس من بينهم طليحة الأسدي ومسيلمة الكذاب وسجاح التميمية والأسود العنسي . 14 15

### كتاب من رسول الله الى كسرى ملك الفرس

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله . أدعوك بدعاية الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . أسلم تسلم فان أبيت فانما عليك اثم المجوس .

14

### 3 حجة الوداع :

حج الرسول في السنة العاشرة للهجرة ( 632 م ) الحجة الأخيرة المعروفة بحجة الوداع وفي هذه الحجة خطب الرسول خطبته الأخيرة التي أكد فيها على المحافظة على الإسلام . واتباع قواعده . واتخاذ القرآن دستورا يوحد بين المسلمين . ونزلت الآية القرآنية « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً »

### خطبة الرسول في حجة الوداع

« أيها الناس ، ان دماءكم واموالكم عليكم حرام انى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ...  
« فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ...  
« وان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ...  
« وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع ... »  
« اما بعد ايها الناس ، فان الشيطان قد ينس من ان يعبد بارضكم هذه ابدا ..  
« أما بعد ، ايها الناس ، فان لكم على نساءكم حقا ولهن عليكم حقا . لكم عليهن الا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه ، وعليهن الا يأتين بفاحشة مبينة . فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح . فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا . وانكم انما اخذتموهن بامانة اخ واستحلتم فروجهن بكلمات الله .  
« فاعقلوا ايها الناس قولى فاني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا امرا بينا : كتاب الله وسنة رسوله .  
« ايها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه . تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم وان المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من اخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن انفسكم . اللهم هل بلغت . »

### 4 وفاة الرسول :

سمع الرسول عند عودته الى المدينة بان البيزنطيين يريدون الاغارة على المسلمين فقرر الرسول ارسال جيش لصدهم وجعل قائد الجيش اسامة بن زيد وكان شابا الا ان مرضه حال دون ارسال هذا الجيش اذ اصيب عليه الصلاة والسلام بحمى شديدة التحق على اثرها بالرفيق الاعلى يوم 12 ربيع الاول ( سنة 632 م ) وله من العمر ثلاثة وستون سنة بعد كفاح طويل تمكن . خلاله من تدعيم اركان الاسلام بالجزيرة العربية وتأسيس دولة عاصمتها المدينة قضى بها على الانقسامات الدينية والسياسية .

## الرسالة المحمدية : القيم الحضارية الجديدة

نظم الاسلام شؤون المسلمين الدينية والمدنية  
وحدد القوانين وبين النواحي الاقتصادية والاجتماعية  
والثقافية وجعل من المسلمين أمة واحدة متماسكة  
وأخرجهم من الظلمات الى النور .

### I الجائز الديني :

#### 1 القرآن :

هو دستور المسلمين نزل على الرسول منجما حسب الظروف والمناسبات . ابتدا نزوله بمكة وانتهى بالمدينة . وعدد سوره 114 سورة تسعون منها مكية نزلت قبل الهجرة وهي سور قصيرة تعالج وحدانية الله وصفاته وتصف الجنة والنار وتوضح واجبات الانسان نحور به ونفسه ومجتمعه والانسانية وهي على الجملة تبليغ للدعوة الاسلامية لقوم معارضين أما السور المدنية وعددها 24 سورة فانها نزلت بعد الهجرة وهي سور طويلة في الغالب تغلب عليها صفة التشريع وتفصيل العقائد والاحكام كالصلاة والصيام والزكاة والحج وتحريم الخمر وتنظيم قوانين العقود والزواج والطلاق والميراث .

#### 2 العقائد الاسلامية :

الايان هو الاعتقاد بان الله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

#### 3 اركان الاسلام :

1- الشهادتان وصيغتهما : أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله

2- اداء الصلوات الخمس وهي صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء . 19

19 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا .

سورة المزمل آية 20

3- الزكاة على العقار والمال والانعام والحبوب والثمار . 20

20

قال الله تعالي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا

لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَمِيمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تَنْفَقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ  
إِلَّا أَنْ تَعْمَضُوا فِيهِ .  
سورة البقرة 267

والذين فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ .

سورة المعارج آية 24 25

4 - الصوم وهو الامتناع عن الاكل والشرب والملاذات من طلوع الفجر الى غروب الشمس  
كامل شهر رمضان  
21

21 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ .  
سورة البقرة الايتان

سورة البقرة الايتان

5 - الحج الى بيت الله الحرام مرة واحدة في العمر لمن استطاع اليه سبيلا  
184 183  
22

22 وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ...

سورة الحج الايتان

28 27

4 الاجتهاد :

جعل الاسلام مكانة مرموقة للعقل وحرص الانسان على استعماله في تدبير الامور وتنميته بالعلم فقد قال تعالى : « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » وجعل أهمية كبيرة للاجتهاد واستخلاص الاحكام التي لم يرد فيها نص صريح في القرآن اوفي الحديث ولم يقع عليه اجماع المسلمين قال رسول الله ﷺ مشجعا الناس على ذلك : « من اجتهد وأصاب فله اجران ومن اجتهد وأخطأ فله اجر واحد » 23،

والاسلام ايضا دين عقيدة وعلم وعمل يدعو الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحلي بالاخلاق الحميدة .24.

23

### الاجتهاد

روي أن النبي ﷺ حين بعث معاذ بن جبل الى اليمن قال له :  
- بسم تقضي يا معاذ ؟

- فقال :
- بكتاب الله
- قال :
- فان لم تجد ؟
- قال :
- بسنة رسول الله ﷺ
- قال :
- فان لم تجد ؟
- قال :
- اجتهد رأيي
- فقال عليه السلام :
- الحمد لله الذي وفق رسول رسولنا لما يرضى الله ورسوله .

24

### تدرج تحريم الخمر

- « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما »  
سورة البقرة الآية 219
- يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »  
سورة النساء الآية 43
- يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهمون .  
سورة المائدة الآية 90

في الجانب الاجتماعي :

1 المساواة

لقد ساوى الاسلام بين المواطنين في الحقوق والواجبات ولم يفرق بينهم وجعلهم اخوة لا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى .  
وقد كان من بين الصحابة من هو فارسي الاصل كسلمان الفارسي ومن هو رومي

مثل صهيب الرومي ومن هوزنجي مثل بلال الحبشي وعمار بن ياسر . ذلك أن الدين الإسلامي دين ديمقراطي : أمرا الحكام بالشورى وعدم الاستبداد بالرأي ولو كان الحاكم رسولا يوحى إليه .  
 ولا ننسى ما للصلاة من معان عميقة . تدعو إلى مساواة الناس لبعضهم وهم صفوف .  
 الغني بجانب الفقير والبسيط بجانب ذي الجاه .  
 ونذكر أيضا دعوة الصوم إلى المساواة عندما يصوم جميع الناس في وقت واحد ويفطرون في وقت واحد .  
 والحج هو أيضا يحرض على المساواة عندما يرتدي جميع الحجاج لباسا موحدًا ويقومون بنفس المناسك .  
 ولقد مزق الإسلام كل الأغلال التي كان الكهان ورجال الدين يقيدون بها الناس .  
 ومنع تقديس الإنسان للإنسان . وجعل اتصال الإنسان بربه مباشرة وبدون واسطة .  
 في كل ذلك دعوة إلى المساواة لا في الأمور الدينية فحسب بل في الحياة العملية أيضا فدعا إلى تحرير العبيد وايقظ في الإنسان الشعور بالكرامة .

## 2 الإسلام والعلم :

فضل الإسلام انسانا على آخر في أمرين اثنين :  
 التقوى ( ان اكرمكم عند الله اتقاكم )  
 العلم ( قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) وقد جمعنا في قوله تعالى : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» .  
 فالآيات القرآنية والاحاديث النبوية عديدة في الحث على طلب العلم باستمرار من المهدي إلى اللحد مهما بعدت المسافات وجعل الإسلام طلب العلم جهادا وفريضة على كل مسلم ومسلمة بل ان أول آية نزلت في القرآن كانت تحريضا على طلب العلم والمعرفة وقد اشترط رسول الله على بعض الاسرى تعليم جماعة من الصحابة القراءة والكتابة مقابل اطلاق سراحهم وجعل من المسجد بيت صلاة وتعلم معا اذ بالعلم ترقى الأمم .  
 وقد علت منزلة العرب عندما اخذوا بأسباب الحضارة وتشبثوا بالعلم والمعرفة .  
 واكتشفوا واخترعوا فكانوا أقوى دولة في العصور الوسطى بلا منازع . امتد نفوذهم من حدود الصين شرقا إلى فرنسا غربا

لوتعلقت هممة ابن آدم بما وراء العرش لناله . حديث شريف

## تسامح الاسلام

قال تعالى :

« لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي » سورة البقرة . الاية 256

وقال تعالى :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب بالنبي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم . وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والنا وأحكام واحد ونحن له مسلمون » سورة العنكبوت الاية 46  
قال تعالى محرضاً على طلب العلم :

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » سورة الزمر 9

وقال تعالى :

« ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » سورة البقرة الاية 269

وقال تعالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » سورة فاطر 28

## الحث على طلب العلم والتأديب

كتب الخليفة عمر بن عبدالعزيز الى مؤدب ولده يقول :

« أما بعد فاني اخترتك على علم مني لتأديب ولدي فصرفتهم اليك من غيرك من موالي وذوي الخاصة بي فحدثهم بالجفاء فهوأمن لأقدامهم . واترك الصلحة فان عاداتها تكسب العقلة . وقلل الضحك فان كثرته تميت القلب . وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بلذوها من الشيطان وعاقبتها سحق الرحمان . فانه بلغني من الثقات من أهل العلم ان حضور المعازف واستماع الاغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء .

## 3 الاسلام والمرأة :

كان بعض العرب يند بناته مخافة ان يلطخ شرفهن . وكان انتهاك الشرف من اكبر أسباب الحروب بين القبائل العربية . تلك الحروب التي أوهنت أعظم القبائل العربية فلم تقف على قدميها ولم تؤسس دولة ترد على نفسها العدوان .  
ولما جاء الاسلام منع وأد البنات وحرم قتل النفس وأصدر قوانين حازمة جريئة تتعلق بالزنا والقتل واصبحت المرأة تشارك في الغزوات والحروب وتمد العون للجنود المسلمين وتربط في الرباطات دفاعاً عن الاسلام .

### III الجانب السياسي :

#### 1 نظام الحكم

توحد العرب وكون الرسول حكومة مركزية عاصمتها المدينة وكان الرسول هو الرئيس الاعلى يرجع اليه المسلمون في أمورهم الدينية والمدنية وتجب طاعته اذ هو لا ينطق عن الهوى وان جازت مناقشته .

وقد عمل الرسول بمبدأ الشورى المقرر في القرآن « وشاورهم في الأمر » وكان يغير رأيه ان وجد مستشاريه على صواب وكان الرسول يقرر الحروب ويجمع الجيوش ويستشير الصحابة في القيادة وفي تنظيم المعارك .

وكان مقر الرسول المسجد منه يصرف شؤون المسلمين . وقد استلزم الاعانة بكتبه ومعاونين لينظموا له أمور المراسلات والكتابة والحباية والصدقات ومغانم الحروب والمعاملات بين الناس وتنظيم الري .

وعين الرسول أمراء لادارة المقاطعات وتنفيذ مبادئ الشريعة الاسلامية وتوطيد النظام وعين على هذه المقاطعات قضاة يحكمون بين الناس بالعدل حسب الكتاب والسنة .

#### 2 توحيد القبائل العربية

لقد جمع الاسلام شتات العرب وصهر القبائل العربية في مجتمع موحد انطلقوا به خارج جزيوتهم ونشروه بين الناس الذين اعتنقوه بعد أن وجدوا فيه وحدة الفكرة ووضوحها وبساطة الدين على عكس الاديان والمذاهب والنحل المختلفة التي اتصفت بالتعقيد والتعدد وجعلوا لغتهم العربية لغة عالمية يتكلم بها اليوم الملايين من الناس ولو كانوا من أصل غير عربي .



## الخلفاء الراشدون

«فاعقلوا أيها الناس قولي ، فاني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا : كتاب الله وسنة رسوله»

من خطبة حجة الوداع

1 ابو بكر وعمر

1 - أبو بكر الصديق : 11 هـ - 13 هـ / 632 م - 634 م 111

توفي الرسول دون أن يترك خليفة له ونائبا عنه ، فاستقر رأي المسلمين على أن يكون للرسول خليفة غير أنهم لم يتفقوا على الشخص الذي سيخلفه ، فقد رأى المهاجرون أنهم أولى بخلافة الرسول لسبقهم في اعتناق الاسلام ، ورأى الانصار أنهم أولى بذلك لأنهم احتضنوا الرسول وحموا الاسلام ولولاهم لضاعت الرسالة والرسول معا ، وفي سقيفة بني ساعدة بايع عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح أبا بكر الصديق بالخلافة ، اذ هو أول من آمن بالرسول فلقبه بالصديق ، وهو الذي صاحب الرسول في هجرته من مكة الى المدينة ، وقد قال تعالى « ثَانِي اَتَسْنِيْنَ اِذْ هَمَّا فِي الْغَارِ اِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ اِنَّ اِلٰهَنَا مَعَنَا » وهو الذي ناب الرسول في امامة الصلاة عندما مرض . وهو الذي سخر كل امواله لفائدة الاسلام ، وشارك في كل غزوات الرسول . وولد أبو بكر الصديق بعد عام الفيل بستين فيكون عمره حوالي 61 سنة عندما تولى الخلافة . وبايع بقية المسلمين أبا بكر الذي اتبع في حكمه تعليمات القرآن والسنة .

### الردة :

تعرضت وحدة المسلمين بعد وفاة الرسول الى خطر الانقسام ، فقد ارتدت عدة قبائل عربية عن الاسلام ، ورجعت الى معتقداتها السابقة ، لعدم تغلغل الاسلام في

قلوبهم عن المدينة ومكة . واعتبار الزكاة ضريبة مهينة . ولخضوعهم لنفوذ شخص بعيد عن القبيلة . ولاعتقاد بعضهم ان ارتباطهم كان بالرسول . فلما توفي الرسول تحللوا من ذلك . وأن اسلامهم كان على أساس دين لا على أساس حكومة وخلافة . ولادعاء عدد من الناس النبوة وحلل بعض المنتهين الخمر وخفف الصلاة وألغى الزكاة . ومن بين هؤلاء المنتهين الادعاء الاسود العنسي باليمن وسجاح التميمية ومسيلمة الكذاب باليمامة . 28 29

وقد دافع أبو بكر الصديق بعزيمة ثابتة عن الاسلام . وحارب المرتدين بكل حزم . اذ الارتداد تقويض لكل ما بناه الرسول وما حققه من مكاسب . فقد جهز جيشا بقيادة خالد بن الوليد . ووجهه لمحاربة المرتدين . فتغلب عليهم وأرجع وحدة المسلمين الى ما كانت عليه في عهد الرسول . وهكذا برهنت حكومة المدينة برئاسة أبي بكر الصديق على انها تتمتع بقوة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وأنها الحاكم الشرعي الذي تجب طاعته .

### 28 خطبة أبي بكر الصديق عند توليه الخلافة

تولى أبو بكر الصديق الخلافة اثر وفاة الرسول وخطب في الناس قائلاً :  
 ايها الناس قد وليت عليكم ولست بخير منكم . فان أحسنت فأعينوني . وان أسأت فقوموني . الصدق أمانة . والكذب حيانة . والضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ له حقه . والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله .  
 تاريخ الطبري

3 210

29

### أثر العصبية القبلية عند العرب

سال اعرابي مسيلمة الكذاب وكان من قبيلته :

- متى باتت الوحي ؟

فقال مسيلمة :

- ليلا

فقال الاعرابي :

- اشهد انك كذاب وان محمدا صادق . ولكن كذاب ربيعة ( أي قبيلتهما ) أحب اليها من صادق مضر

مرض أبو بكر الصديق وأحس بدنوا أجله فأوصى - بعد استشارة الصحابة - بالخلافة الى عمر بن الخطاب الذي لقبه الرسول بالفاروق لأنه نصر الحق على الباطل . ولد عمر بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة فيكون عمره عندما تولى الخلافة حوالي 53 سنة . وكان يتمتع بشخصية قوية وقد عضد جانب المسلمين باسلامه في السنة الخامسة للنبوة . وهاجر كل المسلمين الى المدينة سرا الا عمر فانه هاجر علنا متحديا بذلك قريشا . وقد بذل عمر بن الخطاب مجهودات جبارة لتحقيق الأمن . ونشر العدل بين الناس . وتوسيع نفوذ دولته وذلك بفضل ما تمتع به من ذكاء حاد وعدل مثالي وقوة شخصية . وقد اعتبر عهده من أحسن العهود التي عاشها المسلمون . حتى انه اعتبر المثل الاعلى لكل حاكم .

وأدخل عمر بن الخطاب تنظيمات عديدة أحكمت تسيير شؤون المسلمين . وقضى على الامبراطورية الفارسية فعمل الفرس على الانتقام منه واغتياه . وتوفي عمر متأثرا بجراحه بعد أن طعنه أبو لؤلؤة فيروز الماجوسي بخنجر مسموم عندما كان يؤم الناس في صلاة الصبح .

## وصية أبي بكر لعمر

اني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله ان الله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل . وانه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا ، وثقله عليهم ٠٠٠ وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة بالباطل وخفته عليهم ٠٠٠ ان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فاذا ذكرتهم قلت : اني أخاف أن لا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فاذا ذكرتهم قلت : اني لارجو أن لا أكون من هؤلاء ٠٠٠ فاذا حفظت وصيتي فلا يكن غائبا أحب اليك من الموت وهو آتيك ، وان ضيعت وصيتي فلا يكن غائبا أبغض اليك من الموت ولست بمعجز الله .

البيان والتبيين ج 2 . ص 41

## من خطبة لعمر بن الخطاب

أيها الناس ! انه أتى علي حين وأنا أحسب ان من قرأ القرآن انما يريد الله وما عنده ، ألا وأنه قد خيل الي أن أقواما يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم وأعمالكم ٠٠٠

ان الحق ثقيل مريء ، وان الباطل خفيف وبيء ، وترك الخطيئة خير من معالجة

التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزننا طويلا .  
الا واني انما ابعث عمالي ليعلموكم دينكم وستكم ، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ، ويأخذوا أموالكم ، ألا من رابه شيء من ذلك فليرفعه الي ، فالذي نفسه بيده لا تقتصنكم منه .

عبر ابوبكر في كتاب التولية عن وجهة نظره في عمر بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد ابوبكر خليفة رسول الله عند آخر عهده ، بالدنيا وأول عهده بالآخرة ٠٠٠ اني استعملت عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمي به ، وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخير ما اردت ٠٠٠ »

( عيون الاخبار لابن قتيبة 1 14 15 )

## II الفتحاح الاولى وتنظيم الدولة

### ( I الفتحاح الاولى :

لوقام في بداية القرن السابع الميلادي أحد وتكهن بأن تلك القبائل العربية المتنازعة المنقسمة الضعيفة ستوحد وستخرج من مجاهل الجزيرة العربية ثم تقض على الدولتين العظيمتين في ذلك العهد وهما الدولة الفارسية والدولة البيزنطية فتقوض أركان الاولى وتظفر بأملهاها ثم تقطع من ولايات الثانية أزمى مقاطعها وتنشر الاسلام في تلك الربوع . نقول لو صدرت مثل هذه النبوءة من فم انسان في ذلك العصر لحكم عليه بالجنون .

### ( أ الدوافع التي دفعت المسلمين الى الفتحاح :

قد نتساءل عن الدوافع التي دفعت المسلمين الى القيام بهذه الفتحاح ؟ هي كثيرة :  
\* نشر الدعوة الاسلامية الموجهة الى البشرية كافة والجهاد في سبيل الله

« قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً » « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

\* مواصلة ما شرع فيه الرسول من فتح داخل الجزيرة العربية وحتى خارجها كغزوة تبوك واعداد جيش أسامة لمحاربة البيزنطيين .

\* الرغبة في القضاء على خطر الدولتين العظيمتين المجاورتين الفارسية والبيزنطية ، اذ وجودهما يهدد أمن وسيادة الدولة الاسلامية الفتية :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »  
« وان جنحوا للسلم فاجنح لها » .

\* الرغبة في توحيد القبائل العربية المستقلة بالشام والعراق وضمها الى صف المسلمين وتحريرها من الاحتلال الفارسي والبيزنطي .

\* ضرورة اشغال المسلمين بأشغال جديدة ، وابعادهم عن البطالة بعد انتهاء حرب الردة .

\* احتياج الدولة الاسلامية الفتية الى موارد مالية تحقق بها مشاريعها لخير البشرية .

## ب) فتح الشام :

توحدت الجزيرة العربية بعد حروب الردة واتجه المسلمون في عهد أبي بكر الصديق الى الفتح ونشر الاسلام خارج حدودها .  
أرسل أبو بكر الصديق جيشين أحدهما الى الشام بقيادة شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص وأبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان والثاني الى العراق بقيادة خالد بن الوليد .

أحرز الجيش الذي وجه الى الشام على انتصارات عديدة غير أن تاهب البيزنطيين واعدادهم لجيوش عديدة . تطلبت من أبي بكر توجيه خالد بن الوليد على رأس جيش من العراق لنجدة المسلمين بالشام . تحول خالد من العراق الى الشام وتولى قيادة جيش المسلمين الذين انتصروا على الروم ( البيزنطيين ) في معركة اليرموك سنة 634 م . وفي عهد عمر بن الخطاب فتحت دمشق سنة 634 م وحمص وحماة واللاذقية والقدس التي طلب أهلها الصلح . واشترطوا أن يتم ذلك على يد الخليفة عمر نفسه . وقدم عمر . وأعطاهم الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم . كما منحهم الحرية الدينية على أن يدفعوا الجزية للمسلمين . وبذلك تم فتح الشام . 32

### عهد القائد خالد بن الوليد

32

#### لأهل دمشق

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها .  
أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيئاً  
من دورهم لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمؤمنين لا  
يعرض لهم الا الخير اذا أعطوا الجزية » .

البلاذري ص121



## هـ - العوامل التي ساعدت المسلمين على تحقيق كل هذه الانتصارات

- اختلاف النظرة ، فالمسلم يجاهد من أجل عقيدة راسخة والفارسي والبيزنطي مرغمان على القتال أن لم يكونا مرتزقين يحاربان بدون حماس .
- ضعف الدولتين المجاورتين المتحاربتين الفارسية والبيزنطية وفساد أنظمة حكمها .
- مساعدة القبائل العربية ( الغساسنة بالشام والمناذرة بالعراق ) بعد أن رأت ثبات المسلمين في الحروب وتعدد انتصاراتهم وتسامحهم .
- الانتصارات العديدة التي أحرزها المسلمون شجعتهم على الاستزادة منها ، وزادتهم ايمانا بصدق مبادئهم .
- حسن معاملة المسلمين للشعوب المهزومة ، فالعربي كريم ، والمسلم مسامح .
- خفة الفارس العربي وسرعته في التنقل ، وتقل الجندي الفارسي والبيزنطي نتيجة الدروع التي يرتديها أو الاسلحة التي يستعملها .
- تعود العربي على الحروب فهو محارب شجاع لا يحتاج الى تدريب .
- شجعت المبادئ الاسلامية السامية الشعوب على اعتناق الاسلام والدفاع عنه والتحمس لنشر مبادئه ، التي تدعو الى الحرية والمساواة والاخاء والعدالة وحب الخير والتسامح والتحلي بالاخلاق الفاضلة . وتعمل على تكوين مجتمع راق سليم موحد محكم التنظيم .

## و- نتائج الفتوحات الاسلامية

- كان من نتائج هذه الفتوحات أن :
- اعتنق عدد من الناس في فارس والشام ومصر الدين الاسلامي .
- القضاء على الدولة الفارسية نهائيا ، وجعلها ولاية اسلامية ، وضم عدة مقاطعات كانت تابعة للدولة البيزنطية الى حظيرة الدولة الاسلامية .
- تكونت دولة اسلامية قوية ضمت الى جانب الجزيرة العربية ممتلكات الدولة الفارسية والشام ومصر .
- انتشار اللغة العربية التي هي لغة القرآن دستور المسلمين بين سكان فارس والشام ومصر
- خروج عدة قبائل عربية من الجزيرة العربية بأطفالها ونسائها للأستقرار بالبلاد المفتوحة .



- تأثر العرب بالحضارتين الفارسية والبيزنطية .
- ظهور طبقة مثرية بين الفاتحين أثرت في السياسة والمجتمع .
- اتساع رقعة الدولة الاسلامية دعا الى تنظيمها واستنباط الوسائل الكفيلة بذلك .

## 2) تنظيم الدولة الاسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

### أ) الخلافة :

توفي الرسول ( ص ) دون أن يعين خليفة له فدعت الحاجة الى اختيار من ينوب عنه ويكون الرئيس السياسي والديني للمسلمين والقائد الأعلى للجيش .  
وينتخب الخليفة من بين الاشخاص الذين يتمتعون بمركز مرموق في المجتمع . نتيجة عملهم وعلمهم وعدلهم ورجاحة عقولهم وقوة شخصياتهم وسلامتهم من العيوب المادية والمعنوية وخدماتهم الجليلة التي قدموها لفائدة الاسلام والامة .  
وقد انتخب المسلمون أبا بكر الصديق في مؤتمر سقيفة بني ساعدة . وعين أبو بكر عمر بن الخطاب خليفة من بعده بعد استشارة الصحابة ولقب بأمر المؤمنين .  
وكانت حياة الخليفة عمر بن الخطاب حياة شظف في العيش وتكشف في الطعام واللباس والمسكن متبعاً في حكمه وسيرته تعاليم القرآن وسيرة الرسول وما نسجته تلك السيرة من مثل عليا في البر والتقوى والبساطة .

### ب) الادارة :

توسعت حدود الدولة الاسلامية فاضطر الخليفة عمر الى ادخال تنظيمات جديدة لحسن تسيير شؤون المسلمين .  
ولما كانت مدة خلافة ابي بكر الصديق قصيرة فان أغلب التنظيمات قد حدثت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيث :  
- قسمت البلاد الى ولايات عين عليها ولاية لتسيير شؤونها السياسية والادارية واعوان شرطة لحفظ الامن وعسس بالليل ومفتشون لمراقبة الموظفين ، ومراقبون في الاسواق لمنع الغش ومراقبة الموازين والمكاييل .  
- جعل عمر بن الخطاب من هجرة الرسول بداية للتاريخ الاسلامي اذ انها نقطة تحول من عذاب واضطهاد الى نصر اثر نصر .  
- كانت المدينة المنورة عاصمة الدولة الاسلامية في عهد ابي بكر وعمر .

- وكان الخليفة يعقد في كل موسم حج مؤتمراً مع الولاة لتدارس امور المسلمين في جميع الولايات وتنظيم شؤونهم كما كان الخليفة عمر بن الخطاب يزور الاقاليم لتفقدتها فقد زار الشام مرتين وفلسطين مرة .
- دون عمر الدواوين كديوان الجند وهو سجل به اسماء قواد الجيش والجنود ومراكزهم ومراتبهم ، وديوان الرسائل حيث نظم البريد لنقل القرارات والتعليمات والاحوال والاتصال بجميع الولايات .
- أسس عمر بن الخطاب مدناً جديدة هي البصرة والكوفة بالعراق والفسطاط بمصر ، وجعلها معسكرات للجيش تنطلق منها الفتوحات وقد أخذت هذه المعسكرات تتطور حتى أصبحت مدناً كبيرة الى جانب رعاية المدن القديمة .
- عين الخليفة عمر قضاة لفض النزاعات بين الناس في جميع الولايات ويرتبطون بالخليفة مباشرة .
- وعين مرشدين في المساجد لتعليم الناس القرآن وتفقيههم أصول الدين الاسلامي 34

34

### رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري قاضي البصرة

باسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس ( ابي موسى الاشعري ) سلام عليك . أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . واس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين الناس الا صلح احل حراماً او حرم حلالاً . ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل .

## ج - الاقتصاد :

- عين موظفين لاستخلاص الضرائب في جميع الولايات يسمون بعمال الخراج ويرجعون بالنظر الى الخليفة مباشرة .

- أسس عمر بن الخطاب ديوان الخراج لضبط موارد الدولة ومصاريفها وقد تأتي هذه الاموال من الزكاة والغنائم والصدقات والجزية ( ضريبة يدفعها غير المسلم والقادر على حمل السلاح مقابل حماية الدولة الاسلامية له ويعفى منها الاطفال والنساء والشيوخ ورجال الدين ) والخراج ( ضريبة يدفعها غير المسلم مقابل استغلاله للأرض ) والعشور ( ما يدفعه التجار الاجانب مقابل تجارتهم بالبلاد الاسلامية ) ، والفية ( ما يغنمه المسلمون من المشركين بدون قتال ) . وتوزع هذه الاموال التي تتجمع بيت المال على جميع المسلمين بدرجات متفاوتة . كما تنفق في المشاريع والاصلاحات .

## III - عثمان وعلي والفتنة الكبرى

- عثمان بن عفان 23 هـ - 35 هـ / 644 م - 656 م

عين عمر بن الخطاب قبل وفاته ستة أشخاص ليقع الاختيار على واحد منهم يتولى الخلافة من بعده وهم علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمان بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام . وانتخب عثمان بن عفان خليفة من بين هؤلاء وهو ينتسب الى البيت الأموي .

## أ - الفتوحات في عهد عثمان بن عفان :

واصل المسلمون فتوحاتهم في خلافة عثمان بن عفان ففتحوا خراسان وأذربيجان وأرمينيا وطبرستان ، كما أن جيوش المسلمين المنتصبة بمصر غزت افريقية ( تونس ) بقيادة عبدالله بن أبي سرح أخي عثمان بن عفان من الرضاع لتأمين حدود مصر الغربية وانتصروا على البيزنطيين ووصلوا بفتوحاتهم قفصة والجم ثم عادوا محملين بالغنائم . وكون المسلمون اسطولا حاربوا به الروم (البيزنطيين ) وفتحوا به جزيرتي قبرص وروُدس .

## ب) جمع القرآن :

- امر الخليفة ابو بكر الصديق بعد حروب الردة واستشهاد عدد كبير من حفظة القرآن بجمع القرآن في كتاب خشية التلاشي والضياع ، فألف لجنة تولت جمعه ، وفي عهد عثمان بن عفان جمع القرآن في مصحف موحد ، وكتبت منه نسخ وزعت على الولايات واحرقت النسخ القديمة .

## ج) مقتل عثمان بن عفان

يمكن ارجاع الفتنة التي أدت بحياته الى الاسباب التالية :

- سياسته في تولية الولاة وقيادة الجيش من بني أمية أي من أقاربه وتعسف بعض الولاة .
- أخذ الزكاة على الخيل
- صرف موارد الصدقة في الحروب .
- ( انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله ) سورة التوبة

2 - علي بن أبي طالب 35 هـ - 40 هـ 656 م - 661 م

كان مقتل عثمان بن عفان من طرف الثوار المسلمين الوافدين على المدينة من مختلف الامصار بداية للفتن والانقسامات بين المسلمين .

بايع الثوار علياً بن أبي طالب ابن عم الرسول وزوج فاطمة ابنة الرسول بالخلافة وطلبوا منه عزل الولاة الذين عينهم عثمان بن عفان . وقد تولى الخلافة في ظروف عصبية وبدأ بعزل الولاة باعتبارهم سببا في الفتنة . ثار عليه طلحة والزبير وايدتهما السيدة عائشة أم المؤمنين وخرجوا الى البصرة بالعراق فلحق بهم علي بن أبي طالب وحارب المسلم المسلم لأول مرة وانتصر عليهم علي بن أبي طالب في معركة الجمل التي قتل فيها طلحة والزبير وأسرت السيدة عائشة وكرمت . اتخذ علي بن أبي طالب مدينة الكوفة بالعراق عاصمة له لكثرة انصاره بها وفقدت المدينة المنورة مركزها السياسي واصبحت مركزاً دينياً يؤمها أيضاً الاثرياء وكل من اعتزل السياسة .

### 3) الفتنة الكبرى :

رفض معاوية بن أبي سفيان والي الشام تأييد علي مطالباً بالأخذ بئار عثمان بن عفان . فتوجه اليه علي بن أبي طالب بجيش كبير بعد مفاوضات باءت بالفشل ، وأعد معاوية جيشاً مماثلاً التقى بجيش علي في صفين ودارت بين الجيشين معركة ضارية .

### أ) معركة صفين :

ولما شعر معاوية وقائد جيشه عمرو بن العاص بقرب هزيمة جيشهما دبرا حيلة وطلبوا من الجنود رفع المصاحف على أسنة الرماح طالبين تحكيم القرآن . قبل علي بن أبي طالب هذا العرض على مريض غير ان جمعاً من المحاربين في صفه رفضوا التحكيم وخرجوا عليه ، وسموا بالخوارج وقالوا : لا حكم الا لله . واتفق الجيشان على ان يختار كل واحد منهما مندوباً وممثلاً عنه للتفاوض وحل النزاع طبقاً لكتاب الله وسنة الرسول ، فاختار معاوية عمرو بن العاص السياسي الداهية ،

### ب) التحكيم :

واختار أهل العراق أي جماعة علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري الورع التقي ، واتفق الحكمان بعد مداوات عديدة على خلع علي ومعاوية وترك أمر المسلمين شورى بينهم يختارون من يرونه صالحاً . غير ان عمرو بن العاص نكث العهد عند اعلان القرار على الناس فخلع علياً وأثبت معاوية .

### ج) مقتل علي :

ولم يقبل علي بن أبي طالب نتيجة التحكيم الا ان جيشه كان قد انقسم على نفسه وضعف أمره فاتفق ثلاثة من الخوارج على قتل زعماء الفتنة الثلاثة وهم علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص في يوم واحد ووقت واحد وتمكن عبدالرحمان ابن ملجم الخارجي من طعن علي طعنات قاتلة توفي على اثرها بمدينة الكوفة ، ونجا معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص .

وانتخب أهل العراق الحسن بن علي بن أبي طالب خليفة ، وحقناً لدماء المسلمين وانهاء للنزاع بينهم تنازل الحسن لمعاوية على ان يحكم المسلمين طبقاً لكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين وان يكون الامر من بعده للحسن فان حدث مانع فلاخيه الحسين .

## علي بن أبي طالب يقاتل الخوارج

••••• رجع علي فبعأ أصحابه فجعل علي الميمنة حجر بن عددي وعلي المسيرة شيئا بن ربعي وعلي الخيل أبا أيوب الانصاري وعلي الرحالة أبا قتادة . وعلي أهل المدينة قيسا بن سعد ابن عبادة . ووقف هو في القلب في مضر . ثم رفع لهم راية أمان مع أبي أيوب الانصاري . فناداهم أبو أيوب : من جاء منكم الى هذه الراية فهو آمن . ومن دخل مصر فهو آمن . ومن انصرف الى العراق ومن خرج من هذه الجماعة فهو فهو آمن . فانه لا حاجة لنا في سفك دمائكم . وقدم الخيل دون الرحالة وصف الناس صفيين وراء الخيل . وصف الرماة صفا أمام صف . وقال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدؤوكم . وأقبلت الخوارج اذا دنوا من الناس نادوا : لا حكم الا الله ثم . نادوا : الرواح . الرواح الى الجنة . وسدوا على أصحاب علي شدة رجل واحد والخيل أمام الرجال . فاستقبلت الرماة وحوهم بالنبل فخذلوا . قال التعلبي : لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معزاتقت المطر بقرونها . ثم عطفت الخيل عليهم من الميمنة والمسيرة ونهض علي في القلب بالسيوف والرماح . فلا والله ما لبثوا فوقا . حتى صرعهم الله كأنما قيل لهم موتوا فماتوا .

وأخذ علي ما كان في عسكرهم من كل شيء . فأما السلاح والدواب فقسمه علي بيننا وأما المتاع والعبيد والاماء فانه حين قدم الكوفة رده على اهله .

• ابن قتيبة • - الامامة والسياسة -

## علي بن أبي طالب يحث على الجهاد لقوم متفاعسين

••••• ألا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزي قوم في عقردارهم قط الا وذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان . قبحا لكم وترحبا حين صرتم غرضا يرمى وفتنا بهيب . يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون . ويعصى الله و ترضون . فان أمرتكم بالسير اليهم أيام الصيف قلتهم هذه حمارة القيظ امهلنا حتى يسليح عنا الحر . واذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتهم هذه صبارة القرامهلنا حتى يسليح عنا البرد . كل هذا فرار من الحر والقر . فاذا كنتم من الحر والقر تغزون فانتم والله من السيف أفر .

يا أشباه الرجال ولا رجال . حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال .



37 مرقده وجامع الامام علي بن أبي طالب بالنجف-العراق .





# المحور الثاني

## الخِلافةُ الأُمويَّة

## انتصاب الدولة الاموية

40 هـ - 132 هـ / 611 م - 750 م

بعد تلك المعارك الداخلية الدامية التي انهكت قوى المسلمين ، وشلت حركة الفتوحات ، تأسست دولة بني أمية الذين أحدثوا تغييرات عديدة في نظم الحكم ، ووسعوا العالم الاسلامي ووجدوا المسلمين رغم وجود القرق السياسية المناوئة ، وركزوا أسس الحضارة العربية ، وارتكز الحكم على العنصر العربي الذي ساد بقية الاجناس رغم عرافة بعضها في الحضارة .

### - الاطوار السياسية الكبرى

#### 1 تركيز الدولة :

##### معاوية بن أبي سفيان

« لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا مدوها خليتها ، واذا خلوها مددتها » .

تلك هي سياسة معاوية بن أبي سفيان والي الشام بعد أن استقرت له الامور بمقتل علي بن أبي طالب وتنازل الحسن بن علي له بالخلافة فاعتمد على القيسيين ( قبائل العرب الشمالية كمضر وخطفان ) واستمال اليمنيين ( قبائل العرب الجنوبية كقضاة ) . وولى المواليين له الولايات ، فعين عمرو بن العاص ولاية مصر . والمغيرة بن شعبة ولاية الكوفة . وزياد بن أبيه ولاية البصرة ثم فارس ، وهم من السياسيين الدهاة . وجعل مدينة دمشق عاصمة للخلافة الاسلامية لوقوعها في موقع وسط بالنسبة للعالم الاسلامي قريبة من البحر المتوسط . وفي طريق القوافل التجارية بين الشرق والغرب . الى جانب أنها كانت مركز الولاية عندما كان واليا على الشام حيث انصاره ومؤيده . ووجه اهتمامه نحو الفتوحات الاسلامية نشراً للاسلام وابعادا للناس عن أمور السياسة وتأثر بالبيزنطيين فقلدهم وعين ابنه يزيدا ولاية العهد ليكون خليفة من بعده . واستعمل جميع الحيل وكل أنواع الدهاء في سبيل ذلك . ولكنه وجد معارضة الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر بن الخطاب .

## 2) الفرق السياسية

سببت وراثة الحكم وعرويته نقمة عدد من الناس الذين عملوا لغاية شريفة أو غير شريفة للاطاحة بالحكم الاموي ، واستعملوا الدين مطية لذلك ، وتأسست فرق وأحزاب معارضة كانت عاملا مهما في تشتيت وحدة المسلمين وأهمهما :

### أ) الشيعة :

الذين يرون بأن الخلافة يجب أن تكون في آل بيت رسول الله من ذرية فاطمة وعلي ، وقد اندست في صفوفها عناصر كانت تعمل للاطاحة بكل حكم عربي أو اسلامي . كان لفرقة الشيعة تنظيم سياسي سري محكم وقد تزعم هذه الحركة الحسين بن علي الذي قاوم بشدة حتى استشهد الحسين بن علي بمدينة كربلاء بالعراق سنة 61 هـ 680 م . 38 39

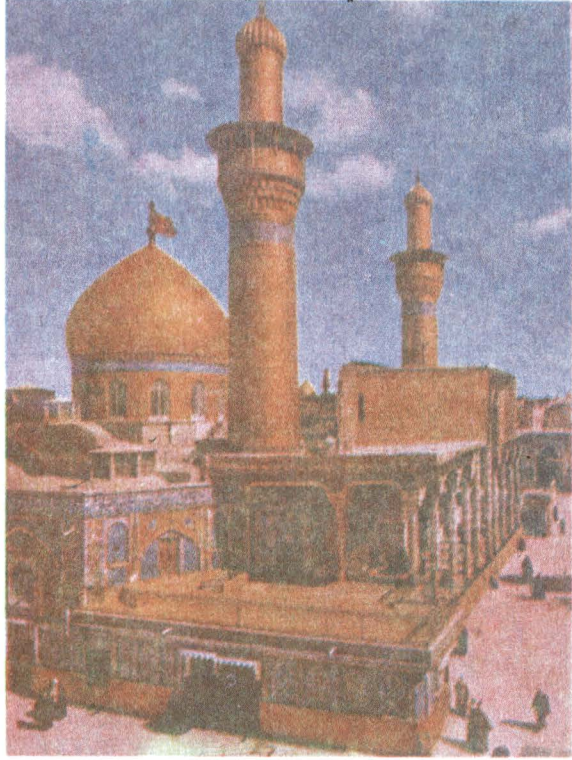
### 38 خطبة الحجاج في أهل الكوفة

عندما ولي عليهم

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

متى أضع العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة اما والله اني لأحمل الشربحملة وأحنوه بنعله وأجزيه بمثله واني لأرى ابصاراً طامحه واعناقاً متطاولة ورؤوساً قد أينعت وحن قطافها واني لصاحبها ، وكأني انظر الى الدماء بين العمامم والحي تترقق . اني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ، ومساوي الاخلاق ما يقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين . . . . .  
وان أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا واصلها مكسرا ، فرماكم بي لأنكم طالما اوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسننتم سنن الغي . أما والله لا لحونكم لحو العصا ولأقرعكم قرع افرافه ولأعصبتكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل ، فانكم لاهل قرية كانت أمنة مطمئنة بأنتها رزقها رعدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، واني والله لأعد الا وفيت ولا أهم الا أمضيت ولا أحلق الا فريت .



### (ب) الخوارج :

الذين يرون بأنه لا حكم الا لله ويدعون الى حكم جمهوري أي ان يختار المسلمون الخليفة الذي يرتؤونه ، بقطع النظر عن مكانته أو مركزه الاجتماعي ، وقاوموا مبدأ حصر الخلافة بقريش بقوة السلاح ، وانتشروا في العراق وفارس وسجستان وشتت شملهم الحجاج بن يوسف ففترقوا والتجؤوا الى البحرين وعمّان .

### (ج) الزبيريون :

الذين يرون بأن بني أمية اغتصبوا الحكم وتكروا لمبدأ الشورى ولأبناء الصحابة ونقلوا العاصمة من المدينة الى دمشق وقد تزعم هذه الحركة عبد الله بن الزبير الذي استفحل أمره بالحجاز واحتفى بالكعبة التي وقع رميها بالمنجنيق عدة مرات في عهد يزيد وفي عهد عبد الملك بن مروان واستطاع الحجاج بن يوسف الثقفي قائد الامويين القضاء

على هذه الثورة وقتل زعيمها عبد الله بن الزبير .  
وثار أخوه مصعب بن الزبير بالعراق منذ عهد يزيد بن معاوية وظل يقاوم حتى عهد  
عبد الملك بن مروان الذي قاد بنفسه جيشاً أموياً قضى به على مصعب سنة 72 هـ  
وعاد العراق الى حظيرة الامويين . 40

### عبدالله بن الزبير وأمه

دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر في اليوم الذي قتل فيه وقد رأى من الناس  
ما رأى من خذلانهم فقال :

يا أماه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي . فلم يبق معي الا اليسير ممن ليس له من  
الدفء أكثر من صبر ساعة . والقوم يعطونني ما اردت من الدنيا . فما رأيك ؟  
فقالته :

أنت والله يابني أعلم بنفسك . ان كنت تعلم أنك على حق . واليه تدعو . فأمض  
له . فقد قُتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية .  
وان كنت إنما اردت الدنيا . فبئس العبد أنت . أهلكت نفسك وأهلكت من قُتل  
معك . وان قلت كنت على حق . فلما وهن أصحابي ضعفت . فهذا ليس فعل الاحرار  
ولا أهل الدين . وكم خلودك في الدنيا ؟ القتل احسن ! والله لضربة بالسيف في عز  
أحب الي من ضربة بسوط في ذل !

قال : « اني أخاف ان قتلوني ان يستلوا بي .

قالت : يابني إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها . فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال :  
هذا والله رأيي والذي قمت به داعياً الى يومي هذا . ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة  
فيها . ولكني احببت ان أعلم رأيك فردتني بصيرة على بصيرتي ثم ودعها وخرج ولم يلبث  
ان قتل . 40

هذا الى جانب حركات سياسية أخرى تستند الى العصبية القبلية كثورة البربر بشمال افريقيا  
وثورة عبدالرحمان بن الاشعث بالعراق الذي أيد القبائل اليمنية ولكنها كانت حركات  
لا تعتمد كثيراً على الرصيد الشعبي فأخذت بسهولة وقد لعب عبدالملك بن مروان دوراً  
كبيراً في اخماد هذه الثورات وتوطيد الأمن .

### 3) الدولة الاموية في أوج قوتها

لقد رأينا بأن معاوية بن أبي سفيان قد وطد أركان الدولة حتى لما تولى الحكم عبد الملك بن مروان سنة 66 هـ . 685 م عبأ طاقاته لاختتام الثورات الشيعية والخارجية والزبيرية والقبيلية التي كان قد استفحل أمرها منذ خلافة يزيد بن معاوية فأخمدها وعمل على زيادة تركيز وتوطيد اركان الدولة الاموية ونشر الأمن وصرف جهوده لزيادة تنظيم شؤون الدولة والفتوحات .

وعين ولاية كانوا من أبرز الشخصيات نفذوا سياسة الدولة وعملوا على تنفيذ خطط الخليفة كالحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق وعبد العزيز بن مروان والي مصر وقتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان وموسى بن نصير والي افرقية .

فلما تولى ابنه الوليد الخلافة سنة 86 هـ 705 م وجد الجو ممهداً والأمن سائداً فأعد الجيوش ونظمها وارسلها للفتوحات .

ولئن اضطهد الخليفة سليمان بن عبد الملك قواد أخيه فان مدة خلافة عمر بن عبد العزيز كانت من أحسن عهود الدولة الاموية حتى ان المسلمين يعتبرونها كخلافة عمر بن الخطاب بل ان البعض يعتبرونه خامس الخلفاء الراشدين لما اشتهر به من زهد وصدق وعدل وتسامح واصلاح واستقرار فقد عزل الولاة الذين ظلموا وأهملوا شؤون المسلمين وعين اصحاب الكفاءات ، ورد الاملاك التي اغتصبها الامويون والمتنفذون الى اصحابها ووزع الاعانات على الفقراء وحاول ارضاء الشيعة والخوارج عن طريق اللين والحجة . ولكن عائلته دست له السم فقتلته خوفاً من أن تمتد يد الموالي ( المسلمين غير العرب ) الى الدولة بعد أن عين بعضهم في مراكز مهمة ورفع عنهم الجزية وفرض الخراج على مالكي الارض بجمع اجناسهم . 41

#### 41 كتب أحد العمال الى الخليفة

عمر بن عبد العزيز يقول :

ان الاصلاحات التي أدخلها الخليفة على بيوت المال لفائدة الداخلين في الاسلام جعلت الناس كثيرين في الاسلام وانه يخشى قلة الخراج . فكتب اليه عمر : « والله لو ددت ان الناس كلهم اسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين فأكل من كسب ايدينا .

#### 4 ( عهد الانحطاط وسقوط الدولة

يمكننا أن نبدأ هذا العهد بخلافة يزيد بن عبد الملك الذي أهمل شؤون البلاد ، وانغمس في الملهيات ، وهذه نتيجة حتمية لكل حكم وراثي ، يؤول أحيانا الى أشخاص ليست لهم كفاءة ومقدرة على تسيير دفة الحكم . فأغتنمت الفئات المناوئة للأمويين ، والتي بقيت تعمل في الخفاء هذه الفترة لتوحيد صفوفها . وتوسيع رقعة نشاطها . وضمت إليها الغاضبين كالموالي ، الذين تدمروا من الضرائب المفروضة عليهم ، وساعدهم اتساع رقعة البلاد وعدم السيطرة عليها سيطرة كاملة ، وتعدد الاجناس ، وبرزت الضغائن القديمة بسبب قتل بعض الزعماء والقواد ، كالحسين بن علي وعبدالله ومصعب ابني الزبير وقتيبة بن مسلم فاتح اقليم ما وراء النهر ومحمد بن القاسم فاتح اقليم السند ، لتعمل هي على الاطاحة بالحكم الاموي .

وهكذا أخذت الدولة تسير نحو الضعف فالسقوط الذي تم سنة 32 هـ 750م على يد العباسيين الذين لاقت دعوتهم قبولا حسنا في خراسان والعراق ، رغم ما بذله الخليفة مروان بن محمد من جلد وصبر في قتال الثائرين . 42 43

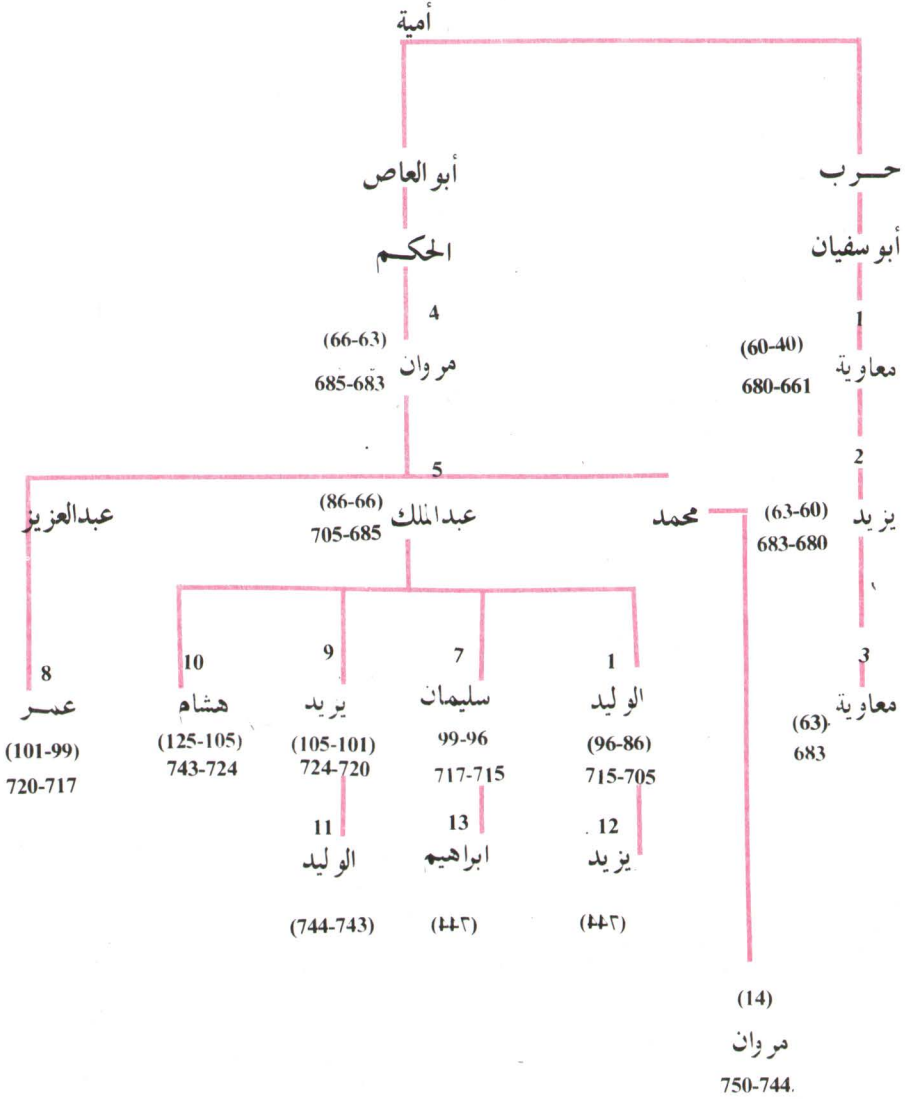
42 وقد صور المسعودي الاسباب التي ساعدت على زوال ملك بني أمية في هذه العبارة فقال : « سئل بعض شيوخ بني أمية ومحصلها عقب زوال الملك عنهم الى بني العباس : ما كان سبب زوال ملككم ؟ قال : اننا شغلنا بلداننا عن تفقد ما كان تفقده بلزمننا . فظلمنا رعيتنا فيسوا من انصافنا وتمنوا الراحة منا ، وتحولت على أهل حراجنا فتحلوا عنا وخربت ضياعنا فحلت بيوت اموالنا ، ووثقنا بوزرائنا فأثروا مرافقهم على منافعنا وامضوا امورا دوننا اخفوا علمها عنا . وتأخر عطاء جنودنا فأزلت طاعتهم لنا ، واستدعاهم اعدائنا فظاهروا معهم على حربنا ، وطلبنا اعداؤنا فحجزنا عنهم لقللة انصارنا ، وكان استتار الاخبار عنا من اوكد اسباب زوال ملكنا .

مروج الذهب ج 2 ص 194

43 كتب نصر بن سيار عامل الامويين على خراسان طالبا نجدة الخليفة مروان وكتب اليه قائلا :

أرى خلل الرماد وميض نار  
ويوشك أن يكون لها ضرام  
فإن النار بالعودين تذكي  
وإن الحرب أولها الكلام  
فقللت من التعجب لست شعري  
أأبظا أمية أم نيام

## خلفاء بني أمية





# تنظيم الدولة والحضارة الأموية

## 1 - نظام الحكم :

اعطى الخلفاء الراشدون الجانب الديني كل اهتماماتهم . وكانت نفوس المسلمين في عهدهم لا تزال مأخوذة بالشريعة الاسلامية الجديدة ومبادئها السامية التي قلبت أوضاعهم . ومشغولة بجلال القرآن وعظمته . وبقوة شخصية الرسول وتأثيرها . فلم يعيروا الحياة كبير اهتمام .

### أ) الحكم الوراثي

غير ان الامويين أخذوا يميلون الى اعطاء جانب الحياة نصيبا كبيرا من اهتماماتهم فأدخلوا نظام الحكم الوراثي مخالفين بذلك ما سار عليه الخلفاء الراشدون . وتولى الخليفة السلطة الدينية والمدنية وتأثروا بمظاهر الأبهة والجلال عند البيزنطيين فابتنوا المقصورات الخاصة للصلاة وعينوا الحرس وسكنوا القصور واتخذوا القروش والرياش والابهة في اللباس والمجلس ، وقربوا الشعراء لمدحهم .

وارتكرت الدولة على العنصر العربي في تسيير شؤونها دون غيره من العناصر الاخرى رغم دخول عدة أجناس في الدين الاسلامي . اوتحت حماية المسلمين ، كالفرس والمصريين والبربر . فقد كانت المناصب العليا السياسية والادارية والعسكرية لا تسند الا للعرب .

### ب) الولايات

وقد اتسعت حدود الدولة الاموية نتيجة الفتوحات . واصبحت اكبر امبراطورية عرفها التاريخ ، فقد امتدت من حدود الصين شرقا الى جبال الپيريني غربا ونتج عن ذلك تقسيمها الى ولايات هي :

- ولاية الشام
- ولاية الحجاز
- ولاية مصر
- ولاية العراق وفارس والسند
- ولاية الجزيرة ( شمال العراق ) وارمينيا
- ولاية افريقية
- واعطى الولاة صلاحيات واسعة

## ج) تعريب الدواوين وتنظيمها

وقع في عهد عبد الملك بن مروان تعريب الدواوين التي كانت تكتب باللغات المحلية كالبطية بمصر والبيزنطية بالشام والفارسية بفارس وعينوا عليها موظفين عرب بعد ان كانوا مضطرين لاستخدام الموظفين القدماء من أهل البلاد لجهلهم بعلم الادارة ، وأنشئت دواوين جديدة الى جانب ديوان الجيش والخراج اللذين وقع تنظيمهما وديوان البريد الذي وقعت العناية به وتحسينه حتى تصل الاخبار الى الخليفة بأقصى سرعة فأنشئ ديوان الخاتم في عهد معاوية لحفظ نسخة من كل رسالة رسمية قبل أن تصدر مختومة بالشمع حتى لا يقع تزويرها .

### 2 - الحياة الاقتصادية :

سك الخليفة عبد الملك بن مروان النقود بعد أن كانت النقود المتداولة فارسية وبيزنطية . وأصبح الدينار الذهبي والدرهم الفضي هما المتداولان وكتب عليهما « بسم الله الرحمن الرحيم . الله أحد الله الصمد » . 44 .  
واهتم الامويون بالزراعة فاستصلحت الأرض وحفرت القنوات واصلحت الجسور وأقيمت السدود لري المزارع .

ونشطت المهن خاصة بين الموالي ونمت الحركة التجارية بين أطراف الامبراطور الشاسعة وكثرت موارد الدولة .  
3 - الحياة الاجتماعية :

انقسم السكان في عهد الدولة الاموية الى أربع طبقات اجتماعية متباينة هي

وعلى راسها الاسرة الحاكمة والولاة والقضاة وعمال الخراج والشرطة ورؤساء الدواوين وقواد الجيش ، وقد تأنق الحكام في لباسهم وأطعمتهم ومساكنهم ، وكان للمرأة العربية مركز حسن فكان منهن من يعقدن المجالس الادبية والعلمية ويدعون الشعراء والعلماء للمناظرة بحضرتهن كسكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وقد اتصفتا بحسن الخلق وسرعة الخاطر ولبستا الحلي واللبسة الفاخرة .

### ب- الموالي

وهم المسلمون من غير العرب وهؤلاء رغم اسلامهم فانهم لم يتولوا المناصب العليا في الدولة ، وكانوا مطالبين بدفع الجزية والخراج ( وقد حذف الخليفة عمر بن عبد العزيز عنهم الجزية وأعيدت بعد مقتله ) واشتغل هؤلاء الموالي بالفلاحة والمهن الحرة .

### ج- أهل الذمة :

وهم غير المسلمين من اهل الكتاب كاليهود والنصارى ومن التحق بهم من مجوس وبوذيين ووثنيين ، وهؤلاء يدفعون الجزية مقابل حماية المسلمين لهم والخراج مقابل استغلالهم للأرض ، وكانت لهم محاكم خاصة بهم الا اذا كانت القضايا تمس المسلمين .

### د- الرقيق :

وأغلبهم من أسرى الحرب وقد أخذ عدد أفراد هذه الطبقة في الناقص نتيجة التشريعات الاسلامية التي حثت على عتق وتحرير العبيد .

### 4- الحياة الثقافية :

أدى ارتكاز الدولة على العنصر العربي ، وانتشار الاسلام الى نشر الاداب واللغة العربية الى جانب القرآن ، في جميع المناطق التابعة للدولة الاسلامية .

وكانت الحركة الثقافية مرحلة انتقال من القديم الى الجديد ، لتحضر القبائل البدوية ، واندماج الشعوب غير العربية في المجتمع العربي الاسلامي ، وامتزاج حضارتها وتجاربها وآدابها وعلومها بالحضارة العربية الناشئة .

وكان للخلفاء الامويين ولع بالاشعار والنوادر وقصص الرواة والتاريخ والاخبار القديمة ومعرفة الانسان ، كما اهتم الخلفاء بحياة الترف والغناء والموسيقى واشتهر من المغنيات سلامة وحبابة .

واهتم الناس بالدراسات الدينية واللغوية في المدينة والبصرة والكوفة ودمشق ، ففسروا القرآن وجمعوا الاحاديث وظهر من ذلك علم الفقه واشتهر به الحسن البصري ، وكانت المساجد هي المراكز العلمية ، ووضعت قواعد اللغة العربية ، فقد وضع ابو الاسود الدؤلي علم النحو الصرف لتعليم الداخلين الاسلام من غير العرب اللغة العربية ، وضبطت نقط الحروف المتشابهة كالباء والتاء والياء ، ووضعت الحركات كالضم والفتح والكسر لوضع حد للاخطاء التي أخذت تنفشى نتيجة دخول عدد من الاجناس غير العربية الدين الاسلامي او تحت سلطة الدولة العربية الاسلامية .

وجمع الشعر الجاهلي وظهرت المعاجم اللغوية ككتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي استنبط بحور الشعر وعلم العروض . وظهرت فرق دينية .

كالمعتزلة وهي فرقة دينية تعتمد العقل وتقول بحرية الارادة وبالمنزلة بين المنزلتين لمرتكب الكبائر فلا هو مؤمن ولا هو كافر .

المرجئة أي بارجاء اصدار الحكم على المؤمنين الذين يرتكبون الكبائر . وان الحكم بيد الله وحده .

القدرية التي ترى بأن الانسان غير حر في سلوكه وانما كل مقدر من الله ..

كثرت موارد الدولة فأستمدت المدن كمدينة واسط. بالعراق والقيروان بافريقية والرملة بفلسطين . وانشئت الجوامع والمساجد كالجامع الاموي بدمشق والمسجد الاقصى وقبة الصخرة بالقدس وجامع عقبة بن نافع بالقيروان . ووسع المسجد الحرام بمكة . كما بنيت القصور الفاخرة كقصر المشى وقصر عمرة وبنيت المستشفيات للمصابين بالامراض

المزمنة . 45 46

دينار الوليد بن عبد الملك ضرب سنة 86 هـ -705 م

كتب عليه : الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد

44





- 45 - قبة الصخرة في القدس بناها عبدالملك بن مروان 691م  
46 - الجامع الأموي في دمشق بناه الوليد بن عبدالملك



## الفتوحات الإسلامية في الروم الأموية



لم تكن المائة الأولى لذكرى وفاة الرسول حتى كانت حدود الامبراطورية الاسلامية تمتد من البيريني Pyrenees غربا الى حدود الصين شرقا ومن بحر آرال شمالا الى شلالات النيل السفلى والصحراء الكبرى جنوبا ، بناي باسم الله خمس مرات كل يوم من آلاف المآذن المتسامية في الفضاء ، المنتشرة في جميع أنحاء الامبراطورية .

تركيف تمت هذه الفتوحات ؟

وما هي بواعثها ؟

ومن هم ابطالها ؟

### 1 الفتح بالشرق :

توقفت الفتوحات الاسلامية نتيجة الفتن الداخلية التي اندلعت ناراها بمقتل عثمان ولم تستأنف الا بعد ان وطدت الدولة الاموية اركانها وقضت على أغلب الثورات الداخلية . وقد امتدت هذه الفتوحات على ثلاث جبهات انطلقت في آن واحد تقريبا .

#### 1 - الجبهة الشمالية :

تمثلت هذه الجبهة في مواجهة البيزنطيين ( الروم ) مباشرة . وقد أعدت الدولة الاموية منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان جيشا منتظما عتيدا وأسطولا قوامه 1700 سفينة حربية هاجمت الامبراطورية البيزنطية برا وبحرا في غزوات صيفية عرفت بالصوافي . ورغم أن الامويين لم يتمكنوا من احتلال بيزنطة ( القسطنطينية ) اذ قامت جبال طوروس مانعا طبيعيا له أهميته . وضاعفت من هذه الاهمية اسوار بيزنطة الثلاثة المنيعة والسلاسل الحديدية التي منعت السفن العربية من الاقتراب من العاصمة فانهم تمكنوا من احتلال ارمينيا وجزيرة كريت وأضعفوا من الامدادات الى المستعمرات البيزنطية المهتدة بالفتح .

#### 2 - الجهة الشمالية الشرقية ( اقليم ما وراء النهر )

انطلقت الفتوحات الاسلامية من العراق نحو الشرق في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي أرسل جيشاً قويا يقوده قتيبة بن مسلم الباهلي ، الذي اجتاز في فتوحاته

نهر جيحون ، واحتل سمرقند وحوارزم وطاشقند سنة (712م) وهكذا نشرت الجيوش  
الاسلامية راية الاسلام خفاقة في آسيا الوسطى وحطمت معابد النار بها .

### 3 - الجبهة الجنوبية الشرقية

ومن العراق انطلق جيش آخر بقيادة محمد بن القاسم صهر الحجاج بن يوسف  
والي العراق ، متجها نحو الهند ، فوصل بفتوحاته نهر السند بعد أن احتل سجستان  
وبلوخستان ، وحطم تماثيل بوذا وتوجه شمالا فاحتل البنجاب سنة 713 م  
ومن أقاليم تركستان والبنجاب والسند انطلقت الدعوة الاسلامية بصورة سلمية  
وانتشرت داخل الهند والصين وجنوب شرقي آسيا .

## II الفتوحات بالغرب :

### شمال افريقيا والاندلس

«اللهم اشهد اني بلغت المجهود ولولا هذا البحر  
لمضيت في البلاد أقاتل من يشرك بك حتى لا يعبد  
أحد دونك»

تلك هي كلمات عقبة بن نافع قائد جيش المسلمين الذي لم يصدّه عن التقدم في فتوحاته  
غرباً الا المحيط الاطلسي ، فلما انتهى الى ساحله أقحم فرسه فيه الى ان بلغ الماء ركابه  
فشهر سيفه ورفع يديه الى السماء وقال قولته تلك .

لكن نستعرض اوضاع المغرب العربي قبل الفتح الاسلامي  
تري من كان يحكم شمال افريقيا قبيل الفتح الاسلامي ؟  
وكيف كانت علاقة السكان بالحاكمين ؟

وما هي الظروف التي ساعدت العرب في فتوحاتهم ؟  
وما هي مراحل تلك الفتوحات ؟

وما الفرق بين الفتح العربي الاسلامي في شمال افريقيا وما سبقه من احتلال ؟

## 1 - الحالة التي كانت عليها شمال افريقيا :

رغم النظام الذي أحدثته البيزنطيون ( الروم ) بتعيين حاكم مقره قرطاج . وتعزيز قوة الجيش . وانشاء القلاع والحصون . فان البربر الذين وصفهم ابن خلدون بأنهم :

« جيل عزيز على الايام . وانهم قوم مرهوب جانبهم . شديد بأسهم » . لم يستكينوا للغلبة ولم يخضعوا لسلطان البيزنطيين بل قاوموهم كما قاوموا من قبلهم الفينقيين والرومان والفندال مقاومة عنيفة .

ذلك ان سياسة الروم ( البيزنطيين ) مع البربر كانت غايتها الاستعداد والسيطرة . فقد فرضت على البربر ضرائب فادحة . وتفشى الارتشاء بين الموظفين على اختلاف طبقاتهم . وذلك لتسديد نفقات لهوهم وترفهم . وارضاء لنهم رجال السلطة بالقسطنطينية .

وكانت الحكومة البيزنطية ترسل الموظفين لادارة شمال افريقيا . فيأتون وليست لهم الارغبة واحدة هي اكتساب المال بكل الوسائل . والعودة الى بيزنطة (القسطنطينية ) محملين بخيرات افريقية . ولم يقف البربر مكتوفي الايدي بل قاوموا الذل . وهكذا اضطرب الامن وضعف نفوذ البيزنطيين بشمال افريقيا .

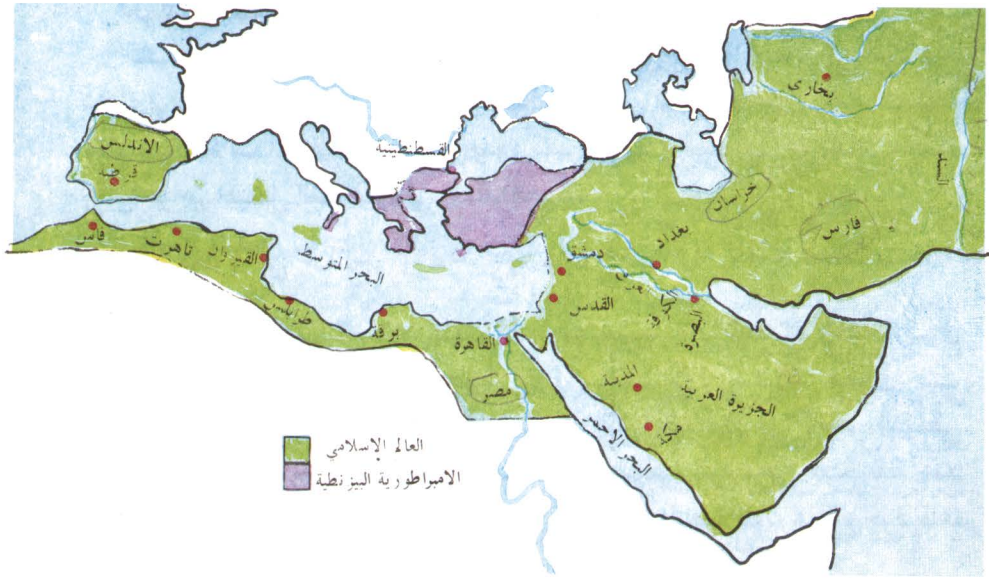
هذا الى جانب ضعف الحكومة المركزية نفسها نتيجة الاضطرابات الداخلية والانقسامات الدينية . ما شجع حاكم شمال افريقيا جرجير Iregorius على الانفصال والاستقلال والتلقب بلقب امبراطور . والاستقرار بسيطة . تقرباً من القبائل البربرية التي ساندت حركته الانفصالية . وابتعاداً عن قرطاج التي ظلت على ولائها لامبراطور البيزنطي .

## 2 - المحاولات المتعددة لفتح شمال افريقيا :

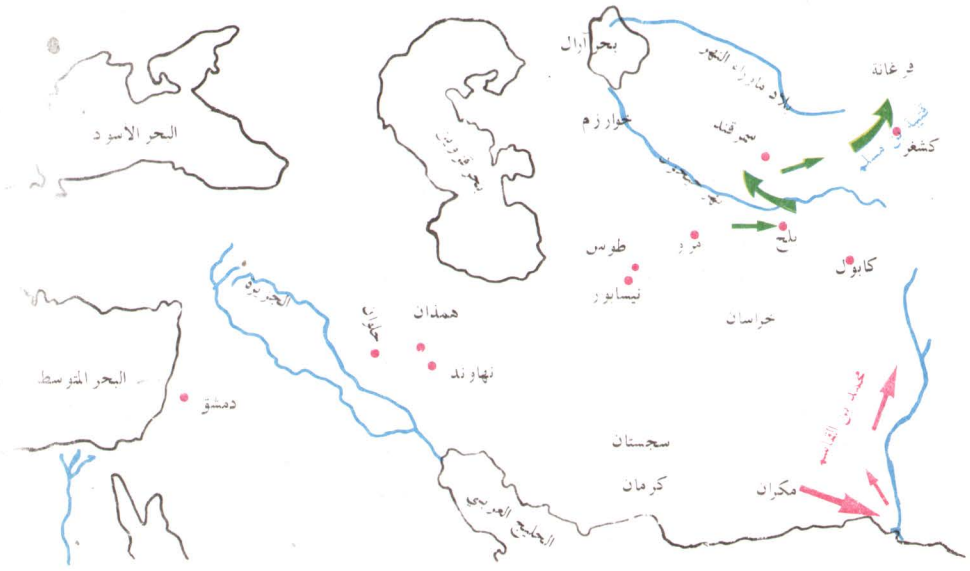
تأميناً للحدود الغربية للامبراطورية الاسلامية . واستغلالاً للحالة التي كانت عليها شمال افريقيا . ورغبة في نشر الاسلام في اقاليم جديدة . وقد زادت حماساً الانتصارات التي تحققت شرقاً وغرباً . حاول العرب المسلمون فتح شمال افريقيا .

ورغم انهم لم يجدوا مقاومة كبيرة من طرف البيزنطيين . فانهم وجدوا صعوبات جمة ومقاومة شديدة من طرف البربر . تعلقاً بحريتهم - كعادتهم - وجهلاً بمبادئ الاسلام السامية . لذلك تعددت حملات المسلمين ودامت 58 سنة .





49 العالم الإسلامي في اواخر القرن الثامن الميلادي واواخر القرن الثاني الهجري



الفتوحات الاسلامية في الشرق في عهد الوليد بن عبدالمالك

#### أ- حملة العبادلة ( 25 هـ - 26 هـ ) 647 م

قاد هذه الحملة عبدالله بن أبي سرح والي مصر في خلافة عثمان بن عفان وقد شارك في هذه الحملة عبد بن الزبير وعبدالله بن عمر بن الخطاب غير ان هذه الحملة لم تأت بنتيجة ذات أهمية سوى تأمين حدود مصر الغربية وحصولهم على غنائم متعددة وقتل جرجير القنصل العام البيزنطي المستقر بسيطة

#### ب- حملة معاوية بن حديج 45 هـ - 665 م

توقفت الفتوحات الاسلامية طيلة 17 سنة بسبب ازمة الخلافة والفتنة الكبرى نتيجة قتل عثمان والنزاع بين علي ومعاوية . ولم تستأنف الا في سنة 45 هـ هجري حيث قاد معاوية بن حديج حملة توجهت الى شمال افريقية انتصر فيها على الجيش البيزنطي في سوسة ثم رجع الى مصر محملاً بالغنائم . ولم يحقق غرضه في الفتح لقلعة عدد جنوده . وبعدهم عن العاصمة الاسلامية . وصعوبة المواصلات وعدم وجود قاعدة عسكرية يحتمون بها وينطلقون منها في فتوحاتهم .

#### ج- حملة عقبة بن نافع 56 هـ - 675 م

تمكن عقبة بن نافع الفهري من التغلب على البربر والبيزنطيين في شمال افريقيا . وأسس مدينه القيروان وجامعها المشهور سنة 50 هـ 680 م تكون « معسكراً ويعزبها الاسلام الى يوم الدهر » . ومستودعاً للأسلحة . ومستأمناً للنساء اللواتي يشاركن في هذه الغزوات البعيدة . ونواة لنشأة افريقية الاسلامية .

وقد اختار مكانها في موقع يشبه دمشق عاصمة الامبراطورية الاسلامية طبيعة ومناخاً بعيدة عن البحر اتقاء لغزو مفاجيء .

ثم وقع عزله وعين مكانه ابو المهاجر دينار الذي أسرع عيم البربر كسيلة ورجع عقبة مرة ثانية سنة 62 هـ 681 م الى القيروان واستأنف الفتوحات بكل حزم ووصل الى المغرب الاقصى وصدده المحيط الاطلسي عن التقدم . وفي طريق عودته من المغرب قتله كسيلة البربري الذي فر من الأسر وجمع جيشاً من البربر والبيزنطيين وكان عقبة في قلعة من الجيش ( 300 جندي ) وكان مقتله بالقرب من بسكرة بالجزائر سنة 61 هـ . 48

#### د- حملة زهير بن قيس البلوي

بعث عبدالملك بن مروان زهير بن قيس البلوي الى شمال افريقيا سنة 69 هـ 688 م

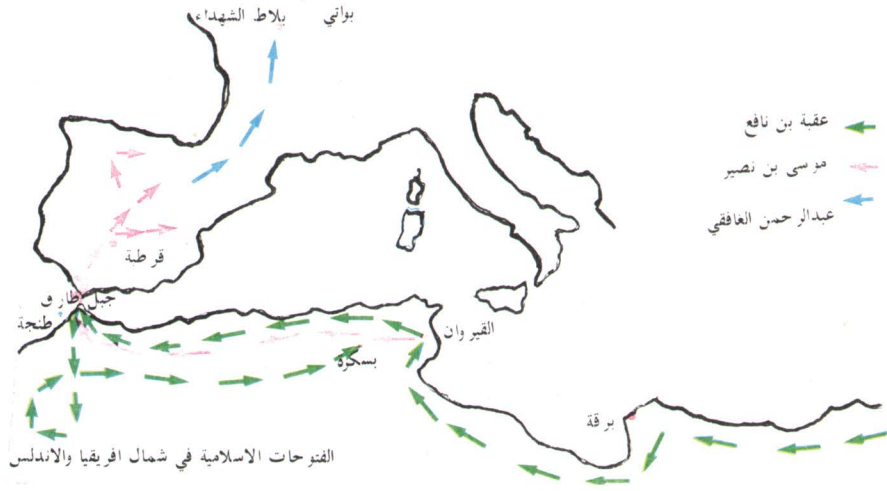
فانتصر على جيوش البربر والبيزنطيين وقتل كسيلة الذي أصبح الحاكم الحقيقي في شمال افريقيا بعد موت عقبة غير أن زهيراً قتله البيزنطيون في برقة بليبيا .  
هـ - حملة حسان بن النعمان 79 هـ 698 م

تمكنت الكاهنة من تجميع القبائل البربرية تحت لوائها والوقوف أمام جيش حسان بن النعمان الذي انهزم وتراجع الى طرابلس في انتظار الامدادات التي تأتيه من الشرق . وأصبحت الكاهنة تسيطر على افريقية ولما علمت أن الامدادات قد وصلت حسان وأنه استعد للعودة ومجابتها جمعت رجالها وقالت لهم « يا قوم ! ان العرب لا يطلبون من افريقية الا المدن والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي . فالوأي عندي تخريب المدن والحصون وقطع الاشجار حتى تقطع أطماع العرب » وأمرت جيشها بتنفيذ ذلك فهدمت المدن واقتلعت الاشجار وأحرقت الغابات فانعدم العمران وساد الخراب وقد فات الكاهنة ان غاية المسلمين ارقى وأنظف .

وعاد حسان واقتفى أثر الكاهنة وهزم جيشها وقتلها بجبال اوراس بالجزائر سنة 84 هـ 701 م ثم جدد بناء مدينة القيروان وجامعها ووضع حدا لعملية المد والجزر في الفتح العربي الاسلامي بافريقية وتخلص من خطر البيزنطيين وذلك باحتلال قرطاج سنة 698 م وأسس بالقرب من قرطاج دار الصناعة لبناء السفن والمراكب الحربية . ووزع على صغار فلاحي البربر مساحات كبيرة من الاراضي التي كانت ملكا للبيزنطيين واستمال قلوبهم وحرصهم على اعتناق الاسلام الذي يساوي بين المسلمين واتخذ منهم جيشا عظيما اعان العرب فيما بعد على فتح المغرب والاندلس .

#### 51 خطبة موسى بن نصير بجامع القيروان

« أيها الناس ! انما كان قبلي على افريقية أحد رجلين : مسلم يحب العافية ويرضى بالدون من العتية . ويكره أن يكلم . ويحب ان يسلم . أو رجل قليل المعرفة راض بالهون ، وليس أخو الحرب الا من اكتحل السهر . واحسن النظر . وخاض الغمر . وسمت به همته . ولم يرض بالدون من المغنم . لينجو ويسلم . دون أن يكلم أو يكلم . ويبلغ النفس عذرها في غير حرق يريده . ولا عنف يقاسيه . متوكلا في حزمه . جازما في عزمه . متزيذا في عمله . مستشيرا لأهل الرأي في احكام رأيه . متحنكا بنجاربه . ليس بالمتجانب اقحاما . ولا بالمتخاذل احجاما . ان ظفر لم يزد الظفر الا حذرا وان نكب أظهر جلادة وصبرا . واجيا من الله حسن العاقبة . وايم الله لا أريم هذه القلاع والجبال المنتعة حتى يضع الله ارفعها ويذل امنعها ويفتحها على المسلمين بعضها وجمعها او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . »



#### 48 عقبة بن نافع ينشر الاسلام في قبيلة مصمودة

« وقد كان عقبة بن نافع الفهري ترك فيهم بعض اصحابه يعلمونهم القرآن والاسلام . منهم شاكرو وغيره ولم يدخل المغرب الاقصى احد من ولاة خلفاء بني امية في الشرق الا عقبة بن نافع الفهري ولم يعرف المصامدة غيره . وقيل أن أكثرهم اسلموا طوعا على يديه . ووصل موسى بن نصير بعده »  
ابن عذاري البيان المغرب

#### حملة موسى بن نصير

سمي موسى بن نصير واليا على شمال افريقيا ( المغرب العربي ) الذي أصبح مستقلا على مصر في الولاية وقد استطاع أن يحتل المغرب الأقصى نهائيا ويوطد دعائم الاسلام فيه واتخذ مدينة طنجة قاعدة عسكرية ستلعب دورها في فتح الاندلس كما لعبت القبروان عاصمة الولاية دورها في فتح المغرب العربي .  
وقد تمكن العرب من الاستقرار بشمال افريقيا الى وقتنا هذا دون غيرهم من الشعوب الغازية وذلك لاختلاف المبادئ التي جاء من اجلها الفنيقيون والرومان والفنندال والبيزنطيون حيث كانت غاية هؤلاء الاستغلال والهيمنة بينما كانت غاية العرب نشر الدين الاسلامي الذي من بين مبادئه المساواة والاخاء والحرية .51



وصل العرب بفتوحاتهم الى المحيط الاطلسي واعمدت هرقل ( جبل طارق )  
ووحدها المغرب والقبائل البربرية تحت راية الاسلام .

وطبيعي ان يتصل العرب الذين استقروا بطنجة باسبانيا ( الاندلس ) التي كان  
يحكمها القوط الغربيون ( من الشعوب الجرمانية ) منذ سقوط الامبراطورية الرومانية .  
ووضع القوط الغربيون اقدمهم على الساحل الافريقي باحتلالهم ميناء سبتة في حين  
ضعف نفوذ الحكام بسبب الاضطرابات والثورات الداخلية مما دفع بحاكم سبتة يوليان  
الى الاستنجاد بالعرب وحثهم على فتح الاندلس والقضاء على حكم رودريغ بها  
( لدرىق Roolrigue )

ويمكن فتح الاندلس العرب من السيطرة على كل مضائق البحر المتوسط التي  
تربط بين المحيطين الاطلسي والهندي . ومن نشر الاسلام في ربوع أوروبا . ومن  
تضييق الخناق على بيزنطة وفتحها من الغرب بعد ان تعذر فتحها من الشرق .

اغتنم القائد موسى بن نصير تلك الحالة وشجعت هذه الظروف فقرر فتح اسبانيا  
بأمر من الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك .

وكلف موسى بن نصير مولاه طارقا بن زياد البربري عامل طنجة بهذه المهمة .

أبحر طارق بن زياد سنة 92 هـ 710 م بجيشه نحو اسبانيا وأنزل جيوشه في  
الجهة المقابلة للمغرب على الصخرة التي عرفت باسمه منذ ذلك الحين .  
وخطب في جماعته خطبته المشهورة التي تتقد حماسا وزحف بجيوشه على جيوش  
رودريك وكانت تفوق جيشه عددا وعدة ( 12 الف مقابل 100 الف ) ولكن  
النصر كان حليف جيش طارق الذي توغل داخل اسبانيا ( الاندلس ) .  
وسمع موسى بن نصير بهذا النصر المبين فرحف سنة 93 هـ - 711 م بدوره على  
اسبانيا يعضد جانب طارق حتى وصل جيش المسلمين جبال اليبيري . وأضحت  
اسبانيا خلال سنوات قليلة اسلامية تابعة لولاية القيروان . وعاد موسى بن نصير الى  
دمشق محملا بالغنائم وأسرى الحرب هدية الى الخليفة الوليد بن عبد الملك . لكن  
الوليد كان يحتضرو تولى مكانه اخوه سليمان الذي تقبل الهدايا واضطهده وقتل ابنه  
لانه طلب منه ان لا يدخل دمشق قبل وفاة الوليد فلم يفعل .  
غير ان الاندلس لم تفتح نهائيا بل ظلت الجهة الشمالية الغربية تحت نفوذ القوط  
الغربيين تحصنوا بها ووجهوا منها مقاومتهم للمسلمين .

## عهد الولاة بافريقية وعهد الامراء بالاندلس

### 1 عهد الولاة بافريقيا

97 هـ - 715 م / 184 هـ - 800 م

تم فتح شمال افريقيا نهائياً على يد موسى بن نصير . وكان هذا الفتح قد استوجب عدة غزوات . اذ أن البربر « كانوا قد ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس الى طنجة » ولم يستقر اسلامهم الى على يد موسى . ولكن رغم اعتناقهم الدين الاسلامي لم يستتب السلم في ربوع البلاد . لعدم استقرار السلطة المركزية بالقيروان . اذ أن سياسة الخلفاء بالمشرق لم تستطع فهم مميزات الشخصية الاسلامية المغربية وظروف ومشاكل المغرب الخاصة . ولعل مساندة البربر للانشقاقات والفرق الدينية تعود الى تلك السياسة .

### 1 الولاة وتنظيم البلاد

#### أ) تعيين الولاة :

كان الولاة بافريقية يعينون من طرف الخلفاء الذين لا يولون الا الاشخاص الذين تأكدوا من اخلاصهم . لبعده المسافة وما ينجر عن ذلك من امكانية الانفصال . واستدعى انتقال منصب الخلافة من شخص الى آخر- في غالب الاحيان- تسمية وال جديد على افريقية . يعين من أبناء الشرق وكان أغلبهم يجهل الكثير عنها .

#### ب) مهام الوالي :

يعين الوالي لادارة البلاد وقيادة الجيش والسهر على تطبيق المبادئ الاسلامية . واقتضت ايضاً وظيفته النظرفي شؤون الدواوين كديوان الجيش والخارج والخاتم والرسائل التي كان يشرف عليها عدد كبير من الموظفين الذين كان عمل بعضهم بالادارة البيزنطية . كذلك يعين الوالي العمال على أعمال افريقية وهي :

- تونس وما يليها من شمال القطر التونسي

- الزاب وعاصمته طبة وهو يمتد الى جنوب عمالة قسنطينة

- قسطنطية وهي بلاد الجريد اليوم وعاصمتها توزر

- طرابلس ونواحيها لحد برقة

- المغرب ويحتوي على بلاد المغرب الأقصى والسوس وعاصمته تارة طنجة وتارة ويلي .

- الاندلس حتى استقلالها على يد عبدالرحمان الداخل .

وبذلك تصبح ولاية افريقية أكبر ولاية اسلامية وتتطلب حنكة سياسية لادارتها  
(2) ضعف الحكم وكثرة الثورات

(أ) تعاقب على افريقية في القرن الثامن أكثر من عشرين واليا من سنة 97هـ - 715 م الى سنة 184هـ - 800 م فكان معدل حكم الوالي اربع سنوات بل ان بعضهم تولى الولاية لمدة أشهر . والملاحظ ان ثلاثة ولاة فقط ماتوا بأفريقية موتاً طبيعياً أما بقية الولاة فان عشرة منهم قتلوا واُطرد الباقون .

لقد كان التناحر على السلطة مريباً . حتى أصبح القريب يقتل قريبه . كما فعل الياس بن حبيب الفهري (137هـ - 754 م / 138هـ - 755 م) مع أخيه عبدالرحمان (127هـ - 745 م / 137هـ - 754 م) وانتقام حبيب ابن عبدالرحمان الفهري (138هـ - 755 م / 142هـ - 759 م) من عمه الياس . وكان الخليفة يقر الوالي المنتصر أحيانا أو يعين واليا جديداً . وفي بعض الاحيان يسلط الخليفة أقصى العقوبات على وال مثلما وقع لموسى بن نصير .

فلا غرو حينئذ اذ اثار السكان على ولاة ضعفاء يتناحرون فيما بينهم ولم يعيروا مصلحة البلاد كبير اهتمام .

( الثورات

- ثورات البربر المتكررة حتى اصبحت القيروان نفسها هدفا للتخريب وانتهاك حرمتها الدينية كما وقع في عهد حبيب بن عبدالرحمان الفهري

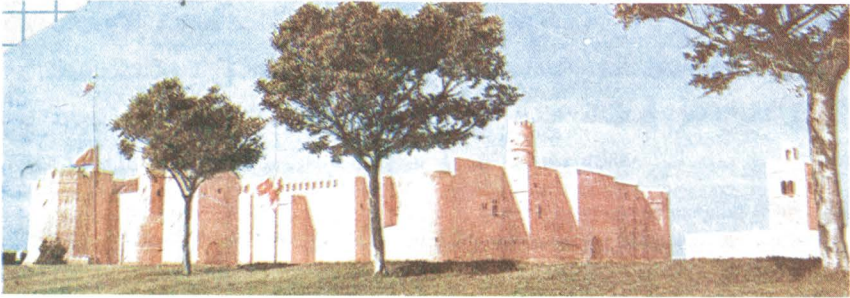
- ظلم الولاة وجهلهم بادارة البلاد مما أدى الى الثورة عليهم كما فعل أهل تونس في ثورتهم على بني المهلب سنة 178 هـ - 794 م بقيادة عبدالله بن عبدربه الجارود .  
- ثورات الخوارج الذين استمالوا بعض القبائل البربرية وأثروا فيها بمبادئهم .  
فقد انتقلت آراء الخوارج الى افريقية فاغتنم البربر انشفاق كلمة المسلمين فثاروا على الولاة وحملوا راية العصيان والتمرد فقام عكاشة الصفري في جيش عظيم من الصفورية والبربر غير أن ثورته أحمدت وقتله الوالي حنظلة بن صفوان الكلبي سنة 124 هـ وثار عليه عبدالرحمن بن حبيب الفهري . والتف حوله ثوار البربر وتغلبوا على القيروان سنة 129 هـ .  
وتعددت ثورات الخوارج بالقيروان و جبال نفوسة والجزائر فثار أبو قرة الصفري وأبو حاتم



الاباضي وعبدالرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية .  
(3) مآثر الولاية :

غير أن ذلك لم يمنع بعض الولاة من تكوين حضارة ونشر الدين والثقافة كما فعل الوالي اسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر ( 100 هـ - 101 هـ / 718 م - 720 م ) الذي عينه الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز وارسل معه عشرة علماء . فانتشروا بالبلاد لتعليم البربر الدين الاسلامي واللغة والعادات العربية . وقد سعى المئات من الناس الى الحصول على العلم وسافروا الى الحجاز والشام والعراق واتصلوا بالامامين مالك بن انس وأبي حنيفة النعمان وتلامذتهما واخذوا عنهم الفقه والعلم وظهر بأفريقية عدد من العلماء والفقهاء والادباء أمثال عبدالرحمن بن زياد والبهلول بن راشد وعلي بن زياد والشاعر الحسام بن ضرار الكلبي . وانتشرت اللغة العربية بين القبائل البربرية المسلمة . واندمجت هذه القبائل في الأمة العربية وصارت تتحاشى الانتساب لاصلها .

وساس يزيد بن حاتم المهلبي ( 155 هـ - 171 هـ / 772 م - 788 م ) الناس بالعدل . وجدد بناء جامع القيروان . ورتب اسواق التجارة وأفرد لكل صناعة مكاناً . ومن مناقبه في الفضل انه مر يوماً بضواحي القيروان فرأى غنماً ترعى وعلم أنها لابنه فوجه عن اتخاذها ومزاحمة الناس في أسباب التكسب . وأمر بذبحها جميعاً . وباحثها للناس . فتناولتها الايدي . ونشروا جلودها على كدية سميت من يومئذ كدية الجلود . وعمل بعض الولاة على البناء والتشييد . فبنى عبيدالله بن الحبحاب ( 114 هـ - 123 هـ / 734 م - 741 م ) جامع الزيتونة بتونس سنة 114 هـ وبنى دار الصناعة لبناء السفن الحربية . وغزا سقلية وبلاد السوس والصحراء الكبرى . وعاد جيشه غانماً . كما غنم جيش بشر بن صفوان بن نوفل ( 103 هـ - 109 هـ / 721 م - 727 م ) عندما غزا سقلية قبله بعشر سنوات وبنى الوالي هرثمة بن أعين ( 179 هـ - 200 هـ / 795 م - 815 م ) قصر المنستير وسور طرابلس .



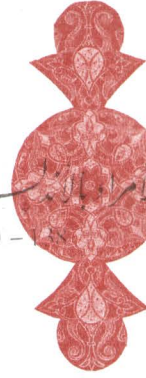
رباط المنستير الذي بناه هرثمة بن أعين سنة 180هـ 796م والرباط مركز حزبي دفاعي واستشفائي وديني وتعليمي

قال عبدالرحمان الداخل في حنينه الى وطنه بالشرق رغم ما حصل بالأندلس من ملك  
وتأييد

أيها الراكب الميمم أرضي  
أقر من بعضي السلام لبعض  
ان جسمي كما علمت بأرض  
وفؤادي ومالكه بأرض  
فرق بيننا فافترقنا  
وطوى بين عن جفوني غمضي  
قد قضى الله بالفراق علينا  
فعمى باجتماعنا سوف يقضي

ابو جعفر المنصور قال لاصحابه : « اخبروني عن صقر قريش من هو ؟ قالوا : أمير  
المؤمنين الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الادواء وأباد الاعداء . قال : ما  
صنعتم شيئاً . قالوا : فمعاوية . قال : ولا هذا . قالوا : فعبدالملك بن مروان . قال :  
ولا هذا ، قالوا فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبدالرحمن ابن معاوية الذي عبر البحر .  
وقطع القفر . ودخل بلداً اعجمياً مفرداً . فمصر الامصار . وجند الاجناد . ودون  
الدواوين وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته . ان معاوية نهض بمركب  
حملة عليه عمر وعثمان وذلاً صعبه . وعبدالملك بيعة تقوم لها عقدها . وأمير المؤمنين  
يطلب غيره واجتماع شيعته . وعبدالرحمن مفرد بنفسه . مؤيد برأيه . مستصحب لعزمه »

( العقد الفريد ح 3 ص 201 )



أصبحت الأندلس منذ سنة 93 هـ - 711 م عمالة تابعة لولاية القيروان . ومن أشهر العمال عبدالرحمان الغافقي الذي فتح جنوب فرنسا واستشهد في معركة بلاط الشهداء بمدينة بواتي بفرنسا سنة 732 م وقد بذل العمال مجهودات في نشر الأمن وتنظيم البلاد مما شجع المسيحيين على اعتناق الإسلام . إلا أن الانقسامات بدأت تظهر في أواخر هذا العهد .

### 1) عبدالرحمان الداخل وتأسيس الإمارة

يبدأ عهد الإمارة بفرار عبدالرحمان الداخل ( عبدالرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ( صقر قرش ) من المذابح التي أقامها بنو العباس لبني أمية عند تغلبهم عليهم وتوليهم السلطة سنة 132 هـ 750 م . وتمكن عبدالرحمان الداخل بعد صعوبات عديدة من اجتياز شمال أفريقيا . والالتجاء الى الأندلس . التي وصلها سنة 138 هـ 755 م وكانت الأندلس قد مزقتها الانقسامات والنزاع القبلي . وتمكن عبدالرحمان من تأسيس إمارة أموية جديدة بالأندلس مناوئة للعباسيين . وتغلب على يوسف الفهري آخر عامل بالأندلس . وجعل مدينة قرطبة عاصمة إمارته . وبنى بها قصره والمسجد الجامع .

واعاد مجد الامويين الذي اندثر بالمشرق . 53 54

### 2) موقف العباسيين

ولم يتمكن العباسيون من القضاء على هذه الدولة رغم المحاولات العديدة والاحلاف مع الافرنج . فقد حاول المنصور اعادة سلطان العباسيين على الأندلس . وذلك باستعمال اللين والقوة فعمل على استمالة عبدالرحمان وأرسل اليه الرسل وأظهر اليه اعجابه به وبمقدرته وبغزيمته التي جعلته وهو شريد طريد يستطيع أن يؤسس هذا الملك الشاسع في تلك البلاد النائية .

وقد أحجم العباسيون عن ارسال الجيوش الى الأندلس لقوة عبدالرحمان . وبعد المسافة . ووعورة الطريق . ولكنهم تقربوا من الافرنج جيران الامويين . فتبادلوا

- 1 عبدالرحمان الداخل 138 هـ
- 2 هشام الاول 172 هـ
- 3 الحكم الاول 180 هـ
- 4 عبدالرحمان الثاني 206 هـ
- 5 محمد الاول 238 هـ
- 6 المنذر 273 هـ
- 7 عبدالله 275 هـ
- محمد
- 8 عبد الرحمان الثالث ( الناصر 300 هـ )

وصف عبدالرحمان كيفية نجاته من العباسيين وهربه الى الاندلس فقال : لما اعطينا الامان ، ثم نكس بنا بنهر ابي فطرس وايحت دماؤنا . اتانا الخبر . وكنت منتبذا من الناس ، فرجعت الى منزلي ايسا ونظرت فيما يصلحني واهلي وخرجت خائفا حتى صرت الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض . فيينا انا ذات يوم بها . وولدي سليمان يلعب بين يدي . وهو يومئذ ابن اربع سنين فخرج عني . ثم دخل الصبي من باب البيت باكيا فرعا ، وجعلت ادفعه وهو يتعلق بي فخرجت لانظر . واذا بالخوف قد نزل بالقرية واذا بالرايات السود منحطة عليها ، واخ لي حدث السن يقول لي النجاة النجاة ! فهذه رايات المسودة . فاخذت دنائير معي ونجوت بنفسي واخي . . . واحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لي اثرا . فاتيت رجلا من معارفي . وامرته فاشترى لي دوابا وما يصلحني . فدل علي عبدالله العامل فاقبل في خيل له يطلبني . فخرجنا على ارجلنا هرابا . والخيل تبصرنا . فدخلنا في بساتين على الفرات . فسبقنا الخيل على الفرات فسبحنا . فاما انا فنجوت والخيل ينادوننا بالامان ولا ارجع . واما اخي فانه عجز عن السباحة في نصف الفرات . فرجع اليهم بالامان واخذوه فقتلوه . وانا انظر اليه . وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه تكلا ومضيت لوجهي ، حتى انقطع الطلب عني . وخرجت فقصدت المغرب فبلغت افريقية »

الوفود والهدايا في سبيل اضعاف الامويين والبيزنطيين أعداء الافرنج أيضا . وكان رد الفعل الاموي أن تبادلوا الوفود والهدايا . وعقدوا الاتفاقيات مع البيزنطيين ضد العباسيين .

### 13 الامراء الامويون بالاندلس

اتبع عبدالرحمان الداخل سياسة المباشرة الشخصية للامور . فكان يقود بنفسه الجيوش في الحروب . وينظر في المظالم . وينصف الضعيف والمظلوم . وتوفي سنة 172 هـ - 788 م .

وتولى بعده ابنه هشام الذي سار على منوال أبيه . فوطد أركان الدولة وقرب العلماء والفقهاء ولقب بالشفيق العادل . جمل قرطبة وعمرها بالبنين .  
الا أن ابنه الحكم سار على غير سيرة أبيه . فاضطربت الامور . وحدثت الفتن . واستعان عمال طليطلة وبلنسية وبرشلونة بشارلمان ملك الافرنج ضد الحكم فحاربهم وتغلب عليهم .

ثم تولى مكانه ابنه عبدالرحمان II ( الاوسط ) الذي هدأت في عهده البلاد . وكثرت موارد الدولة . وابتنى القصور والمنتزهات . وجلب المياه الى قرطبة من الجبال . وأقام الجسور ونظم شوارع قرطبة . وأنشأ المساجد في أكثر المدن الاندلسية . وجعل الى جانب كل مسجد مدرسة ومستشفى . ومد الطرقات وأصلح القديم منها . وشجع العلوم . ومنح حرية اقامة الشعائر الدينية لغير المسلمين . وكثيرا ما حارب المسيحيون مع المسلمين جنبا الى جنب . كما كانوا يعينون في المناصب السياسية والحرية الراقية . ومن ثم اعتنق كثير منهم الاسلام . ووفدت عليه رسل امبراطور القسطنطينية بالهدايا . ونال حظوته الكاملة المغني زرياب والفقهاء يحي بن يحي الليثي والاميرة طروب وعبد نصر .

الا أن من تلاه من الامراء قد اتصف عهدهم بالثورات . وخروج بعض الاقاليم عليهم . فنار مسيحيو الشمال وانتشرت روح العصيان الى أن اعتلى العرش سنة 300 هـ - 912 م عبدالرحمان الثالث الذي وحد البلاد وأعلن نفسه خليفة وتلقب بالناصر لدين الله . 55

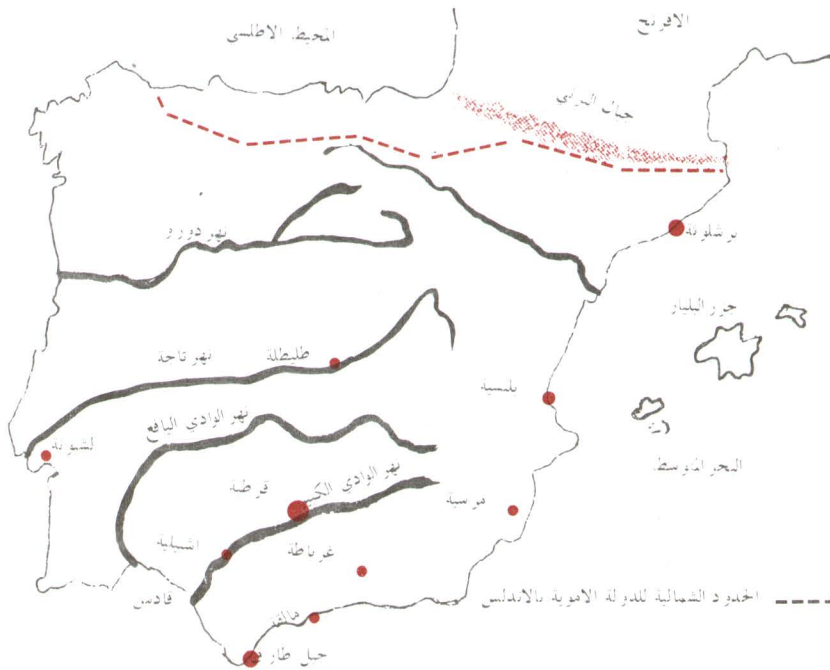
### تظيم الامارة :

حرص الامويون على احياء الدولة الاموية بالاندلس . فأسس عبدالرحمان الداخل دولته . وبنى بقية الامراء مجتمعا جديدا . وشجعوا للتقاليد الاسلامية . واحتفظ مسلمو

الشرق الذين استوطنوا الأندلس بتقاليد أجدادهم . ثم أخذت هذه التقاليد تنسجم مع عوامل البيئة الجديدة . بسبب اعتناق أهل الأندلس الإسلام . واندماجهم مع العرب المسلمين عن طريق المصاهرة . وتعلم المسيحيون العربية وتكلموها . وكبوا ونظموا بها الشعر والنثر .

واعتنى الأمويون بالأرض . وجلبوا المياه إلى المدن من الجبال البعيدة . وقد ساعدت فترات الهدوء على خلق نهضة علمية . وقرب الأمراء العلماء والفقهاء والأدباء والفنانين . وربطوا علاقات ودية مع عدة شعوب وخاصة الدولة البيزنطية . ورغم عداوة الأمويين للعباسيين فإن نظام حكمهم سار إلى حد كبير وفق نظام الحكم العباسي . فبلاط الأمير الأموي اتبع نفس تقاليد البلاط العباسي . كما اتبعوا نفس التقاليد في تأسيس بيت المال وديوان الخاتم ومصانع المنسوجات الحريرية ...

الدولة الأموية بالأندلس



# المحور الثالث

## الخلافة العباسية

## الدولة العباسية

132 هـ - 656 هـ / 750 م - 1258 م

### انتصاب العباسيين وأهم الاطوار السياسية

حركة سرية محكمة التنظيم كانت تدعو لآل البيت ثم حادت عن هدفها . نفوذ واسع للموالي على حساب العنصر العربي . شعوية غايتها القضاء على حضارة العرب المسلمين التي عرفت رغم ذلك ازهى ازدهار لها في العصر العباسي الاول . العالم الاسلامي يفقد وحدته التي عرفها في العهد الاموي . منصب الخليفة يصبح صوريا في بعض اطوار تاريخ الدولة العباسية .

تلك هي بعض مميزات الدولة العباسية لكن من هم العباسيون وما هي اطوار تاريخ دولتهم .

### الانتصاب العباسيين في الحكم :

لم يعترف الشيعة بخلافة الامويين . واعتبروهم مغتصبين لها . ولم ينسوا ما جنوه على علي والحسين . واكتسبوا التأيد لدعوتهم لآل بيت رسول الله . ومال اليهم الموالي - الذين حرموا من المناصب العليا وفرض عليهم الخراج والجزية - وأيدهم من يرى بان الخلفاء الامويين اتبعوا أهواءهم . وأغفلوا مبادئ الاسلام .

ولدت هذه الدعوة بالعراق وترعرعت بفارس وخاصة بخراسان . وأخذت النزعة القومية الفارسية تقوى في ظلها . وتم الاتفاق بين آل البيت (العلويين والعباسيين) والخراسانيين على مقاومة بني أمية . وأسندوا رئاسة الحركة الى ابي العباس الذي قاد الثورة متعهدا بالعودة الى سيرة الرسول .

وكانت الدعوة لآل علي بن ابي طالب في بداية الامر . الا ان ابناء العباس عم الرسول حولوا اتجاهها اليهم بدعوى انهم يدافعون عن حقوق بني هاشم المغتصبين وأعلنوا انهم حماة الدين .

وقاد الجيش ابو مسلم الخراساني وأيدت اليمانية هذه الحركة . وهكذا آذنت شمس بني أمية بالغروب . فسقطت مرو عاصمة خراسان ثم الكوفة بالعراق سنة 132 هـ - 749 م . ونودي بأبي العباس خليفة المسلمين . وتراجع علم الامويين الابيض امام الراية العباسية السوداء وانكسر مروان بن محمد في كل المعارك التي خاضها ضد هذا الحلف . واستسلمت



مدن الشام وعاصمتها دمشق سنة 750 م وقتل مروان فكان آخر خلفاء بني أمية بالشرق .  
وصفا الجو للعباسيين الذين استأصلوا البيت الاموي ، ولم ينح الا شاب اسمه عبدالرحمان  
ابن معاوية بن هشام (عبدالرحمان الداخل او صقر قریش) الذي التحق بالاندلس . وأسس  
بها دولة اموية نازعت العباسيين . وأصبحت مدينة الكوفة عاصمة للعباسيين ، وتمت  
للموالي حربتهم . وبلغت الشيعة ثارها ، الا ان آل بيت علي بن ابي طالب قد خاب  
أملهم بتحويل الخلافة الى العباسيين مما جعلهم غير راضين عن الحكم العباسي .

## II العصر العباسي الاول :

بلغت الدولة العباسية في هذه الفترة أوج مجدها حتى سمي هذا العهد بالعهد  
الذهبي وصارت بغداد أعظم مدينة في العالم ومحط ترحال القوافل التجارية وطلاب  
العلم والبعثات الديبلوماسية . الا ان ذلك لم يتم الا بعد فترات من التوطيد والتركيز التي  
ابتدأت بعهد الخليفة ابي العباس الذي لقب بالسفاح لكرمه وسفحه المال .  
وتواصلت عملية التركيز هذه في عهد ابي جعفر المنصور الذي يعتبر المؤسس الحقيقي  
للدولة العباسية بعد ان تخلص من خطر ابي مسلم الخراساني الذي اصبح متنفذاً  
نظراً لأهمية الذي قام به في اسقاط الدولة الاموية ، واخذ ثورات خراسان وتكر للشيعة  
فقتل من زعمائهم ابراهيم واخاه محمداً من سلالة علي بن ابي طالب . وأسس بغداد  
سنة 145 هـ - 762 م واتخذها عاصمة للخلافة .

روى الطبري في حوادث سنة 151 هـ ان المنصور خطب ببغداد في يوم عرفات .  
فقال : ايها الناس ! انما انا سلطان الله في أرضه . أسوسكم بتوفيقه وتسديده . وأنا  
خازنه على قبته . اعمل بمشيئته . واقسمه بارادته . وأعطيه باذنه . فقد جعلني الله عليه  
قفلاً . اذا شاء ان يفتحني لاعطياتكم وقسم فينكم وارزاقكم فتحني . واذا شاء ان يقفله  
أقفلي فارغبوا الى الله ايها الناس . وسلوه في هذا اليوم الشريف . الذي وهب لكم فيه  
من فضله ما أعلمكم به في كتابه اذ يقول تبارك وتعالى : اليوم اكملت لكم دينكم  
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً - ان يوفقني للصواب . ويسددني  
للرشاد . ويلهمني الرفقة بكم والاحسان اليكم . ويفتحني لاعطياتكم وقسم ارزاقكم  
بالعدل عليكم انه سميع قريب !

ويعتبر عهد هارون الرشيد والمأمون العهد الذهبي للدولة العباسية فقد بلغت قمة الازدهار السياسي والحضاري في عهدهما .  
فالرشيد الذي خلد عهده كتاب الف ليلة وليلة أقصَّ مضاجع الروم وفرض عليهم جزية كبيرة . وتقرب اليه شارلمان ملك الافرنج بالهدايا والوفود وربط معه علاقات ودية .

عندما تولى نقفور حكم بيزنطة رفض دفع الجزية وأرسل الى الخليفة هارون الرشيد بكتاب مهين . طلب فيه ان يعيد اليه الجزية التي كانت قد دفعت له . فأجابه الرشيد بما يلي :

باسم الله الرحمان الرحيم . من هارون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم . قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة . والجواب ماتراه دون ان تسمعه . والسلام .  
وحاربه حتى اجبره على دفع الجزية عن نفسه وعن افراد اسرته الى جانب جزية عامة .

ديباراي جعفر المنصور ضرب سنة 758 هـ



واهتم الرشيد بالعلم فاخطط بيت الحكمة الذي توسعت في عهد ابنه المأمون الذي اشتهر عهده خاصة بازدهار الحركة الفكرية والعلمية والترجمة والجدل وتأييده للمعتزلة في نظريتهم القائلة بخلق القرآن .  
وعلى غرار المأمون الذي قرب أحواله من الفرس قرب المعتصم بن هارون الرشيد أحواله الاتراك وبنى مدينة سامراء ( سر من رأى ) واتخذها عاصمة لدولته سنة 221 هـ - 836 م حتى يتعد عن الفرس الذين أصبحوا متنفذين ببغداد . وعن العرب الذين قاموا بثورات لتألمهم من هيمنة الاتراك .

## بداهة المأمون

روي ان امرأة جاءتة وهو في مجلس من العلماء وقالت له : مات اخي وخلف  
ستمائة دينار . فأعطوني ديناراً . فأخذ المأمون يحسب ثم قال لها : هذا نصيبك . فقال  
له العلماء : كيف علمت يا أمير المؤمنين . فقال : هذا الرجل خلف ابنتين . قالت : نعم !  
فلهن الثلثان . اربعمائة . وخلف والدة فلها السدس . مائة وخلف زوجة فلها الثمن .  
خمسة وسبعون . وبالله ألك اثنا عشر اخا ؟ فقالت : نعم ! قال : اصابهم ديناران  
واصابتك دينار .

## المتعصم بالله والعمارة

ويقول المسعودي عن المتعصم :

« كان المتعصم يحب العمارة ويقول ان فيها امورا محمودة » : فاولها عمران الارض  
التي يحيا بها العالم . وعليها يزكو الخراج . وتكثر الاموال . وتعيش البهائم . وترخص  
الاسعار . ويكثر المكسب ويتسع المعاش . وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك : اذا  
وجدت موضعا . متى انفقته فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة احد عشر درهما . فلا  
تؤمرني فيه . »

سامراء

3 بناها المتعصم بالله العباسي سنة 221 هـ واتخذها عاصمة له ليستقر بها وحاشيته من الاتراك . واشتهرت  
بصومعتها المسماة « بالملوية » والتي تذكرنا بزاوية بابل .



### III العصر العباسي الثاني

#### 1 عصر النفوذ التركي :

يعتبر عهد الخليفة المتوكل 232 هـ - 247 هـ بداية عصر انحلال الدولة العباسية الذي انتهى بسقوطها على يد المغول سنة 656 هـ - 1258 م رغم تولي عدد من الخلفاء الذين حاولوا تجديد شبابها وإعادة مجدها .  
لكن استبداد الاثراك والفرس والسلاجقة بالسلطة وسيطرتهم على الخلفاء أنفسهم جعل من الصعب جدا ايقاف هذا الانحدار فالسقوط .  
وكان المعتصم كما رأينا اول من استعان بالاثراك . واسند اليهم مناصب الدولة ، وبنى لهم مدينة اتخذها عاصمة الخلافة . غير أن نفوذهم هذا شمل حتى السيطرة على الخلفاء فأصبح الخليفة يعزل بل يقتل ويمثل به فقد خلعوا المستعين بالله وقتلوا المعتز والمهدي والمقتدر وغيرهم .  
وحقد العرب والفرس وبقية الاجناس على هؤلاء الاثراك وعلى من قربهم من الخلفاء فقامت عدة ثورات ضد العباسيين .

#### 2 عصر امراء الامراء :

امام ضعف الخلفاء والوزراء نتيجة سيطرة قواد الجيش الاثراك . واستقلال عدة اقاليم عن الدولة العباسية . استمال الخليفة الراضي ( 322 هـ - 934 م ) ابن رائق وكان واليا على واسط والبصرة . وسلم اليه مقاليد الامور ولقبه أمير الامراء . فازدادت سلطته وأصبح بيده تولية الولاية وعمال الخراج والقضاة وعزلهم . وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر . واصبح للوزير اسم الوزارة فقط وليست حالة الخليفة بأحسن منه . واستمر هذا العصر اكثر من قرن ، صارت أموال الدولة تحمل الى خزائن هؤلاء الامراء فيتصرفون فيها كما يشاؤون .

## ٤ عصر البويهيين

احتل بنو بويه ( وهم قبائل فارسية اعتنقت مذهب الشيعة وأيدت العلويين ) بغداد سنة 345 هـ - 946 م وسيطروا على الخلفاء العباسيين وأصبحت السلطة بأيديهم يضطهدون ويعزلون ويولون من يشاؤون من الخلفاء بل انهم كانوا يبثون الدعوة للفاطميين اعداء العباسيين .

## 4 عصر السلاجقة

شعرت القبائل التركية المقيمة بتركستان بآسيا الوسطى والمنتسبة الى زعيمهم سلجوق بضعف الخلافة العباسية التي أصبحت لقمة سائغة لكل فم . فهاجمت بغداد سنة 448 هـ - 1055 م واحتلتها وقضت على سلطة البويهيين .  
وظن الخلفاء العباسيون أنهم استرجعوا سلطتهم ولكنهم وقعوا تحت نفوذ السلاجقة الذين أصبحوا المسيرين الحقيقيين للسلطة .

## 5 سقوط الدولة العباسية

ضعفت الدولة العباسية . واستقلت عنها عدة اقاليم . مما مهد السبيل الى المغول الذين هجموا على بغداد واحتلوها سنة 656 هـ 1258 م . وقتلوا الخليفة المستعصم بالله . وأقاموا في بغداد مجزرة كبرى لم يعرف التاريخ مثلها . لا يفرقون بين الرجال والنساء والاطفال . وحرقوا المدينة . واحرقوا الكتب .  
وسقوط بغداد سقطت الدولة العباسية . ولكن الخلافة ظلت قائمة صوريا في ابناء العباس الذين احتتموا بالمماليك . واستقروا بالقاهرة حتى انتقلها الى العثمانيين في عهد سليم الاول .

1 ضريح السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد ( القرن الثالث عشر الميلادي )



2 نموذج من الزخرفة الاسلامية في سامراء في القرن التاسع الميلادي

## 17 اسباب سقوط الدولة العباسية

عوامل عديدة جعلت نهاية الدولة العباسية حتمية :

- 1) تعددت الاجناس والتقاليد . ولم تنسجم مع بعضها . وقوى هذه الظاهرة ما ابداه بعض الخلفاء من ميل الى فئة دون اخرى . وقد عبرت هذه الاجناس عن عصبيتها القبلية كالبر برمئلا الذين شعروا بالفارق الذي يفصلهم عن سائر العناصر الاخرى . وذلك باقبالهم على الانضمام الى كل حركة اشتقاقية أو فرقة سياسية انفصالية اتخذت الدين شعارا لها .
- 2) ومن بين هذه الفرق التي برزت على الساحة السياسية وعملت للاطاحة بالدولة العباسية :

### - فرقة الشيعة

التي قاومت النفوذ العباسي كلما سنحت لها الفرصة بدعوى استرداد السلطة المغتصبة . وهي ترى أن ذرية علي بن أبي طالب أحق بها . وأهل الشيعة ما زالوا ينتظرون عودة المهدي المنتظر الذي سيخلص البلاد من الظلم والجور وينشر العدل بين الناس . واتبع العباسيون مع أهل الشيعة سياسة اللين أحيانا للقرابة التي تربطهم بهم . والشدة في أغلب الأحيان اذا لاحظوا أنهم يهددونهم . فقتلوا منهم خلقا كثيرا . مما جعل هؤلاء يفكرون في ايجاد مناطق أمن ونفوذ لهم بعيدة عن التهديد والاضطهاد فتمكن الاسماعيليون ( فرقة متفرعة عن الشيعة ) من تكوين دولة بالمغرب العربي ومصر والشام والحجاز .

### - الخوارج

الذين نادوا بتطبيق مبدأ الشورى وبالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولاقوا مقاومة وتشريدا . فالتجأوا الى الاقاليم البعيدة كعمان والمغرب العربي .

### - القرامطة

- الذين نادوا باشتراكية غربية تمثلت في المال والمرأة وأحدثوا اضطرابات بجنوب العراق والشام . واحتجزوا الحجر الأسود ومنعوا الحج لمدة سنوات .
- 3) تدخل الفرس والأتراك في شؤون الدولة وسيطرة القواد على الحكم .
- 4) اتساع حدود الامبراطورية وعجز الخلفاء عن ادارتها فتجزأت الدولة الى دويلات

- متنازعة كالامويين بالاندلس والادارسة والرستميين والغالبة بالمغرب العربي ثم الفاطميين بالمغرب العربي أيضا وبمصر والشام والحجاز والسلاجقة بشمال العراق وسوريا . والايوبيين ثم الممالك بمصر وسوريا والامارات العديدة بالشرق كالغزنوية والصفارية . فانحصرت سلطة الخليفة في جزء من العراق . بل فقد هذه السلطة أحيانا .
- (5) انشغال الخلفاء بالملذات واهمال شؤون الامة فابتز الحكام ممتلكاتها وازدادوا غنى . فانشر النظام الاقطاعي .
- (6) هجوم المغول على بغداد سنة 656 هـ - 1258 م واحتلالها .



## تنظيم الدولة والحضارة العباسية

موقع ممتاز في ملتقى ثلاث قارات هي :  
آسيا وأفريقيا وأوروبا . وفي موطن الحضارات  
القديمة ( حضارات النيل وبلاد الرافدين وفارس )  
وبالقرب من الهندية القديمة والحضارة الهلينية  
والبيزنطية .

حركة اقتصادية نشيطة انجبتها سواعد السكان  
وعضدتها الأراضي الشاسعة والانهار العديدة التي  
تسقي مياهها الغزيرة أقاليم عديدة فكان الانتاج  
كثيرا متنوعا ... وكانت الطبقة .  
نشاط ثقافي مكثف قاعدته الدين ومحركه  
فلسفات وعلوم وآداب وفنون اليونانيين والهنود  
والفرس .

كل ذلك وغير ذلك لعب دورا كبيرا في صياغة  
حضارة العباسيين المزدهرة التي أنارت العالم الإسلامي  
في قرون اصطلح على تسميتها بقرون الظلمات في  
أجزاء أخرى من العالم . وظلت هذه الحضارة  
المعين الذي لا ينضب لنشوء حضارات عديدة أخرى .

### 1 النظام السياسي والاداري :

#### 1 الخلافة :

أصبحت الخلافة وراثية منذ عهد الأمويين . وتأكد ذلك في العهد العباسي .  
وأصبح الخليفة ظل الله على الارض كما قال أبو جعفر المنصور . يتولى السلطة الدينية  
والمدينة . يؤم الامة في الصلاة . ويقودها في الجهاد . ويسهر على مصالحها . ويطبق  
الشريعة الاسلامية ويتبع سيرة رسول الله والخلفاء الراشدين . غير أن بعض هذه الشروط  
قد وقع التغافل عنها . فاهتم الخلفاء بشؤونهم الخاصة . وساسوا البلاد من وراء حجاب .  
وأوكلوا شؤونها الى الوزراء ورؤساء الدواوين . ومن هنا كانت مقاومة الخوارج الذين  
نادوا بالحكم الجمهوري والشيعية الذين يرون أن الخليفة ليس حاكما سياسيا فقط بل  
هو امام معصوم عن الاحطاء . وهذه الشروط لا تتوفر الا في عائلة علي .  
ويخلف الخليفة ابنه أو أحد أقاربه . ثم تقلص نفوذ الخليفة شيئا فشيئا منذ عهد  
المتوكل حتى باتت أوامره لاتتجاوز قصره بل يعزل وتسمل عيناه أو يقتل . وكان الحاجب  
والجلاد يلازمان الخليفة .

## 2 الوزراء

أحدث منصب الوزارة في العهد العباسي . واقتبس من النظم الفارسية . ويساعد الوزير الخليفة في تسيير شؤون الدولة . ويشرف على دواوينها وصلاحيته محدودة . حتى اذا شعر الخليفة باستبداد الوزير عزله ونكل به . كما فعل أبو العباس السفاح بالخلال وهارون الرشيد بالبرامكة . وعندما ضعف الخليفة أصبح الوزير يلقب بأمير الامراء بيده صلاحيات واسعة . حتى كان العهد البويهي والسلجوقي حيث لقب بالسلطان . وسكت باسمه النقود . ودعي له على المنابر وأصبح له وزير يدير شؤونه .

## 3 الدواوين

الدواوين بمثابة الوزارات اليوم قد تعددت في العهد العباسي . فشملت ديوان الجند والخراج والرسائل والخاتم والبريد والمظالم والنفقات والشرطة والري . . . ويخضع رئيس الديوان الى الوزير أو الوالي ويساعده عدد من الموظفين . وقد نظم ديوان البريد فوجدت محطات وخيول سريعة لنقل الرسائل من الخليفة الى الولايات المختلفة أو من الولايات الى الادارات المركزية . كما أن صاحب البريد يعتبر عين الخليفة في تلك الولايات ينقل أخبار الولاة وأعمالهم الى الخليفة الذي كثيرا ما يتخذ اجراءات صارمة ضد الولاة المتعسفين .

## 4 القضاء

يعين الخليفة قاضيا على كل مدينة من بين الفقهاء العدول وكانت الشكاوي تقدم الى القاضي فيبت فيها في الحال وينفذ الحكم أما في العهد العباسي فقد ظهر تسجيل القضايا والأحكام وأحدثت خطة قاضي القضاة ، ويتراس القضاة في المدن الكبرى التي يتولى القضاء بها عدة قضاة

## 5 الجيش

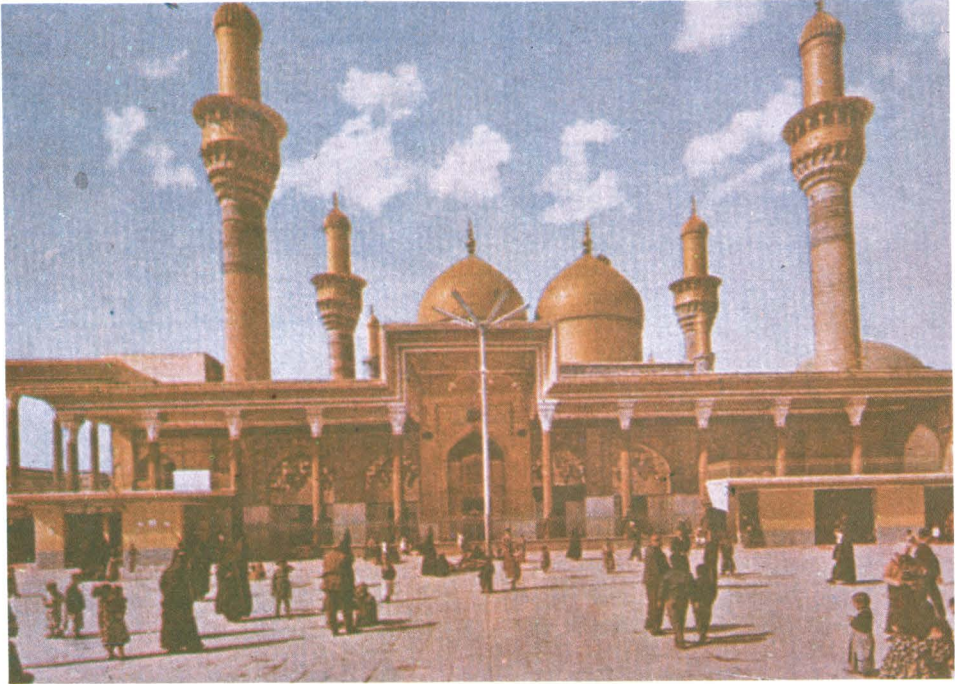
تكون الجيش من العرب والفرس والأتراك الذين سيطروا فيما بعد على الخليفة . وتركب الجيش من المشاة والفرسان والبحرية . ويساعد الجيش مهندسون لمد الطرقات ولبناء الجسور أو تهديمها . ونفاطون لرمي الاعداء بالمواد الملتهبة . وتحسن الاسطول خاصة في شمال أفريقيا ولعب دورا مهما في حوض البحر المتوسط . وأقيمت الحصون والقلاع والباطات لحماية حدود البلاد من هجمات الاعداء . غير أن هذا التنظيم لم يأت بالنتائج التي تحصل عليها أولئك الجنود غير المنظمين في عهد الرسول والخلفاء الراشدين والامويين من فتوحات وسعت نفوذ العرب ونشرت الاسلام في اصقاع نائية . وذلك لضعف الازع الديني وانعدام الروح التضالية في النفوس

وانشغالهم بالامور السياسية .

## 6. الولاية

قسم العباسيون امپراطوريتهم الى عدة ولايات عينوا عليها الولاية الذين قاموا بحفظ الامن وقيادة الجيش وجمع الضرائب . ووضع الخلفاء عيوننا عليهم لمراقبتهم . وقد أعلن عدد من الولاة استقلالهم عن الدولة عندما شعروا بضعف الخلفاء . ويلقب الوالي عادة بلقب أمير وينوب الخليفة في امامة الصلاة ويعين العمال في أهم مدن الولاية التي تضم أيضا رئيس الشرطة والقاضي والمحاسب ومراقبي الاسواق والموظفين لادارة الدواوين الخلية .

من المراكز الشيعية الكبرى الكاظمية القريبة من بغداد والتي تنسب الى الامام موسى الكاظم المتوفى سنة 83 هـ



## II الحضارة العباسية

### 1 الحياة الاقتصادية

#### أ) الزراعة

كانت اجزاء العالم الاسلامي تكمل بعضها اقتصاديا حيث كثر الانتاج الزراعي في المناطق الساحلية وعلى ضفاف الانهار كدجلة والفرات والنيل وفي السهول والواحات . استصلحت الاراضي . وأقيمت السدود . ومدت القنوات . وتعددت أنواع المنتوجات . وتحسنت . وظلت الزراعة العنصر الاساسي في الاقتصاد . وظهرت طبقة مثرية اشترت أراضي صغار الفلاحين خاصة في ضواحي المدن الكبيرة . وجلبوا العبيد للعمل بها كالزنج من افريقيا . وزرعوا فيها مختلف المنتوجات الزراعية كقصب السكر والحبوب . وقد تدمر أولئك العبيد الزنوج الذين كانوا يعملون بمستقعات جنوب العراق يجففون الملح ولا يتقاضون أجرا ، فثاروا تحت قيادة شخص اسمه علي بن محمد وأزعجت ثورتهم التي عرفت بثورة الزنج حكومة بغداد

وظل الريف وسكانه غير محظوظين . اذ لم ير الريف تطورا وحركة كالذي رآته المناطق المجاورة للمدن . كذلك الفلاح البسيط كان مستغلا من التجار الاغنياء الذين يشترون منتوجاته بأثمان منخفضة ويبيعونها بأثمان مرتفعة . وكان عليه دفع الضرائب المختلفة الى الحكومة وتسديد الديون .

#### ب) الصناعة

تعددت الصناعات نتيجة التقدم العلمي فاستخرجت المعادن كالذهب والفضة من خراسان والزئبق والياقوت والرصاص من اقليم ما وراء النهر . واللؤلؤ من البحرين والفيروز من نيسابور والعقيق من صنعاء . والحديد من لبنان . والنفط من فرغانة . وتفنن أصحاب الصناعات في صناعة الزجاج وزخرفته والحلي والمنسوجات والدباغة والصباغة واستخرجوا السكر وصنعوا البارود والورق ووجدت الاختصاصات .

#### ج) التجارة

ازدهرت التجارة بازدهار الزراعة والصناعة واتساع اطراف الامبراطورية وتأمين الطرقات البرية والبحرية . فأنشئت محطات للاستراحة في الطرقات وكانت القوافل التجارية

البرية منها والبحرية تنقل البضائع بين أوروبا وشمال أفريقيا والهند والصين وروسيا .  
فانطلقت القوافل التجارية من مصر والمغرب العربي نحو السودان والصحراء الكبرى  
وجلبت العبيد والعاج والذهب وكانت السفن التجارية تمخر غربا مياه البحر المتوسط .  
وتمر بطنجة والمهدية وطرابلس والاسكندرية .  
أما الطرق التجارية البحرية نحو الشرق الأقصى فتنتقل من البصرة وتمر بمواني  
الخليج العربي متجهة الى مسقط وسيلان وماليزيا . وقد تصل السفن الى الصين .  
ولعلنا نذكر قصص السندباد البحري المستوحاة من هذه الرحلات التجارية وما ينتج  
عنها من صعوبات ومغامرات .  
وعضدت القوافل التجارية البرية هذا النشاط فانطلقت نحو آسيا الوسطى وروسيا  
والصين مارة بالكوفة ومرو وسمرقند . وجلب العرب من تلك الاصقاع برا وبحرا  
التوابل والحجارة الكريمة والأقمشة الحريرية والأخشاب الرقيقة والجلود والفرو . ويرجع  
الفضل في انتشار الاسلام في وسط وجنوب شرقي آسيا وجنوب الصحراء الكبرى  
الى هذه الحركة التجارية النشيطة

## 2. الحياة الاجتماعية

أصبح للموالي الذين كانوا مضطهدين في العهد الأموي نفوذ فعين منهم الوزير والقائد .  
وامتزجت العادات التركية والفارسية بالعربية بواسطة اتصال هذه الاجناس ببعضها  
وتزوج العرب بالتركيات والفارسيات . وكان العكس قليلاً . واحتفل الى جانب  
الاعياد الدينية بالاعياد الفارسية كالتوروز والمهرجان والرام .  
والجدير بالملاحظة أنه لم يكن من خلفاء بني العباس من ابناء الحراري العربيات الا  
أبو العباس السفاح والمهدي والأمين . وبذلك أضاع العنصر العربي مكانته وحل الهجناء  
مما دعا أحد الشعراء الى القول :

ان أولاد السراي      كثروا يارب فينا  
رب ادخلني بلادا      لأرى فيها هجينا .

وظهرت طبقة ثرية مترفة . فكثرت مجالس الطرب . وتغنى الشعراء بالخمرة  
والمرأة . وتفشى المجون . فكثرت الغلمان . وانحطت منزلة المرأة . واتخذت الحجاب  
وكان الناس يقضون أوقات فراغهم في سماع الحكايات الشعبية ولعبة الشطرنج .  
التي أدخلها الرشيد . والصيد ولعب الجوكان والوصولجان وسباق الخيل وحضور مجالس

الطرب والشرب .  
واتخذ الحكام والاغنياء العبيد الذين كثر عددهم واشتغلوا بالقصور والفلاحة وتدمروا  
من المعاملة السيئة التي عومل بها بعضهم فثاروا كما ذكرنا .  
أما الطبقة الوسطى التي تتكون من الفلاحين وصغار أصحاب المهن فقد أثقل  
كاهلها بالضرائب .

### 3 الحياة الثقافية

#### ازدهار الثقافة

اتصف هذا العهد بالخلق والكثرة في الانتاج الثقافي . فقد نقل الى العربية أهم  
ما انتجه العقل اليوناني والفارسي والهندي مثل كتب جالينوس وارسطو وأفلاطون وترجم  
ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة . وادت حركة الترجمة هذه الى ظهور ثقافة جديدة هي  
مزيج من العربية الاسلامية والفارسية والهندية واليونانية . وقد شجع بعض الخلفاء هذه  
النهضة الفكرية . فأسس الرشيد بيت الحكمة ببغداد . وشجع على تأسيس مثلها ببعض  
الاقاليم . فأسست بيت الحكمة بالقيروان وغيرها من المدن الاسلامية المهمة . وكان  
المامون يدفع عن كل كتاب مترجم وزنه ذهبا . واقبل الناس على التعليم والتعمق في  
العلوم . وانتشرت المدارس وانتصبت حلقات التدريس بالمساجد وتقدمت صناعة الورق .  
فكثرت الكتب . وانتشرت المكتبات . وخاصة ببغداد والكوفة والبصرة ونيسابور ودمشق  
والفسطاط والقيروان . وشجع الخلفاء العلماء والادباء على الانتاج والبحث والدراسة .  
فظهر علماء رياضيون كالخوارزمي والرازي وابن اسحاق في المتلثات والجبر والفلك .  
وتجدد الملاحظة الى ان العرب هم الذين اخترعوا الصفر والمرصد الفلكية . وظهر ابن سينا  
والكندي والفرايبي والغزالي في الفلسفة والطب واوجد البنج ( المخدر ) لاجراء العمليات  
الجراحية واخترعت ادوات لذلك الغرض وتعمق الاطباء في بحث امراض العيون والمعدة  
والقلب والكبد والكلى وطب الاطفال والمجاري البولية وجبر الكسور . كما ظهر الجاحظ  
والمتنبي والبحثري والمعري وابونواس في الادب . واشتهر الطبري وابن الاثير في التاريخ  
واليعقوبي والمسعودي في الجغرافيا .

#### ( ب ) المدارس الفقهية السنية

وظهرت المدارس الفقهية السنية كمدرسة أبي حنيفة النعمان التي تعتمد الرأي  
والقياس . ومدرسة مالك بن أنس التي تعتمد الحديث والاجتهاد . ومدرسة الامام

أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي التي تجمع بين الحديث والراي والقياس . ومدرسة

احمد بن حنبل التي تعتمد الحديث . وسميت هذه المدارس بمذاهب السنة الاربعة .

### ج) الفرق الدينية والفلسفية

وظهرت الفرق الدينية والفلسفية كالمعتزلة ( التي تعتمد على العقل وتقول بخلق القرآن . وتحرير ارادة الانسان . والقول بالمنزلة بين المنزلتين لمتركب الكبيرة . أي انه لا هو بكافر ولا هو بمؤمن . والقول بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد وجدت هذه الفرقة تأييدا من بعض الخلفاء كالمأمون واضطهادا من البعض الآخر ) والقدرية والصفوية ( وأصحابها يتمسكون بالسنة . ويحتقرون الحياة الدنيا . ويسلمون أمرهم لارادة الله . ويتقربون اليه بالزهد والتقشف وفناء الذات في حب الله الذي لا محبوب غيره ) .

وقد نشأت هذه الفرقة كرد فعل على البدع التي ظهرت . والفرق التي تشاحت . ولبس أصحابها الصوف في كل الفصول احتجاجا صامتا على التبذير الذي انغمس فيه الناس . ومن بين هؤلاء رابعة العدوية وعمربن الفارض والحلاج . ) واخوان الصفاء ( وهم فرقة سرية ذات نزعة شيعية تدعو الى التوفيق بين العلم والدين اعتمدوا في رسائلهم . وعددها 51 رسالة . على مبادئ الفلسفة الطبيعية . وتعتبر رسائلهم أشبه بدائرة معارف تدل على ان مؤلفيها نالوا حظا وافرا من الرقي العلمي ) وهكذا ازدهرت الحركة الثقافية في عهد الدولة العباسية رغم الازمات السياسية وغدت لا فقط أبناء الدولة بل تجاوزت حدود الامبراطورية . وكانت عاملا مهما في نهضة اوربا .

### 4 ) الحياة العمرانية

تأثر فن البناء بالفن الفارسي وتشهد على ذلك المسدن كمدينة بغداد وسامراء والمساجد التي أكثروا منها . كما أكثروا من القصور التي زخرفوا جدرانها وقبابها بالذهب . وأحاطوا بها البساتين الغناء . وزينوها بالنافورات . وحلوها بالفسيفساء والرسوم الملونة الجميلة . فالمشاهد لقصر الذهب وقصر الخلد وغيرهما من القصور العباسية يلاحظ على جدرانها وقبابها رسوم حيوانات وطيور وأدميين يصطادون . ونساء يرقصن . ولم يقتصر بناء القصور على الخلفاء بل ولع به أيضا الامراء والوزراء وغيرهم من كبار رجال الدولة

أما الأتراك فقد أقطعوهم والفراغنة في الطرف الغربي « بعيدا عن الأسواق والزحام في شوارع واسعة ودروب طوال . ليس معهم في قطائعهم ودروبهم احد من الناس يختلط بهم من تاجر ولا غيره . ثم اشترى لهم الجوارى فزوجهم منهم . ومنعهم ان يتزوجوا ويصاهروا أحدا من المولودين الى ان ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم الى بعض . وأجرى لجوارى الأتراك أرزاقا قائمة وثبت أسماءهن في الدواوين . فلم يكن أحد منهم يطلق امرأته ولا يفارقها »

( أنظر كتاب البلدان للبعقوبي ص 256 )

### تأسيس بغداد

قال ابو سهل بن نوبخت وهو من المنجمين :  
أمرني المنصور لما اراد بناء بغداد بأخذ الطالع ففعلت فاذا الطالع في الشمس وهي في القوس . فخبرته بما تدل النجوم عليه من طول بقائها وكثرة عمارتها وفقر الناس الى ما فيها ثم قلت . واخبرك خلة أخرى أسرك بها يا أمير المؤمنين . قال : وما هي ؟ قلت : نجد في أدلة النجوم أنه لا يموت بها خليفة أبدا حتف أنفه فتبسم وقال : الحمد لله على ذلك . هذا فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

- ياقوت -

### تأسيس بغداد

وضع أبو جعفر اول لبنة بيده وقال : « بسم الله والحمد لله . والارض لله يرثها من عباده والعاقبة للمتقين » ثم قال : « ابناوا على بركة الله

- البعقوبي -

### عناية الخلفاء بالعمارة

ولم تقتصر عناية الخلفاء العباسيين على عمارة المدن الكبيرة كبغداد وسامراء . بل انهم اهتموا ببناء القصور في طريق مكة . يقول الطبري ( 1 ) « امر المهدي ببناء القصور في طريق مكة ، واوسع من القصور التي كان ابو العباس بناها من القادسية الى زباله . وأمر بالزيادة في قصور أبي العباس . وترك منازل أبي جعفر التي كان بناها على حالها وأمر باتخاذ المصانع في كل منها . وتجديد الاميال والبرك وحفر الركايا مع المصانع ... وأمر المهدي بالزيادة في المسجد الجامع بالبصرة . فزيد فيه من مقدمة مما يلي القبلة . وعلى يمينه مما يلي رحبة بني سليم . وأمر المهدي بنزع المقاصير من مساجد الجماعات وتقصير المناير . تصغيرها الى المقدار الذي عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكتب بذلك الى الافاق فعمل به » كما امر المهدي بالزيادة في المسجد الحرام ( 2 ) .



والاغنياء . كما اهتم العباسيون بالحمامات فأنشأوا العديد منها . وكانت دور بغداد على مثال دور الفرس والروم . وتقسم دور الأغنياء الى ثلاثة أقسام هي : مقاصير الحريم . وحجرات الخدم . ومجالس السلام الخاصة بالضيافة . وقد انتشر الزخرف فشمّل المنسوجات والتحف المعدنية والخزفية والخشبية .

## مدينة بغداد

أسس ابو جعفر المنصور مدينة بغداد على ضفتي نهر دجلة . ويعرف الجزء الغربي منها باسم الكرخ . والجزء الشرقي باسم الرصافة . اختار المنصور شكلا دائريا لمدينته ليسهل أمر ادارتها والدفاع عنها . اذ مركز المدينة يقع في هذه الحالة على أبعاد متساوية من أجزاء المدينة . وأحاطها بسورين عظيمين حفر خارجهما خندقا عميقا أجرى فيه الماء . وجعل لها اربعة أبواب هي أبواب الكوفة والبصرة والشام وخراسان . ثم قسم الناس في محلات منفصلة يمكن اغلاقها وحراستها في الليل . قسم للعرب وآخر للفرس وثالث للأتراك . . . الى جانب التقسيم المهني . حيث تقع بيوت الجنود قرب أسوار المدينة لحمايتها . وأصحاب الحرف في الكرخ . وتكونت الاسواق التجارية كسوق القماش والوراقين والصرافين . وبنى المنصور قصره ( قصر الذهب ) والمسجد الجامع وسط المدينة . وقيل ان 100 ألف مهندس وعامل اشتغلوا في بنائها . ونظرا لموقعها على ضفتي نهر دجلة فقد كانت تمول بواسطته . واتسعت في عهد الرشيد اتساعا كبيرا . فبنيت بها القصور الفخمة وتعددت الحمامات والمساجد قيل بلغت الف مسجد . واختط بيت الحكمة ووصل عدد سكانها آنذاك خمسمائة الف نسمة .

المحور الرابع

أفريقيّة الإسلاميّة واشعاع القيروان

# الإمارات المغربية في القرن التاسع بنو رستم والأدارسة

شهدت القيروان ، عاصمة المغرب العربي ،  
انتفاضات وحركات استقلالية في اواخر القرن  
الثامن الميلادي ، مما أدى الى تأسيس دول ،  
تختلف عنها في المذهب الديني والمنهج السياسي قوامها  
البربر :

الدولة الرستمية الخارجية  
الدولة الادريسية العلوية .

1 الدولة الرستمية  
160 - 776 هـ 297 - 909 م

هي أول دولة تأسست بالمغرب العربي ، ولعبت دورا مهما في حفظ التوازن  
بين الاغلبية شرقا والادارسة غربا ، أسسها الخوارج الذين كانوا قد كونوا فرقة سياسية ،  
انتشر مويدوها في مختلف الولايات الاسلامية نتيجة الحروب التي خاضها ضدهم  
علي بن أبي طالب ثم الامويون ثم العباسيون .  
نشروا مذهبهم في الجهات البعيدة عن مقر الخلافة ، وتحينوا الفرص السانحة  
لاقامة دولة ، فوجدوا الجو ملائما لدى بعض القبائل البربرية بالمغرب العربي .

## 1 تأسيس الدولة

احتل الخوارج مدينة القيروان ، وعين ابو الخطاب التميمي قائد الخوارج المستقر بطنابلس  
عبدالرحمان بن رستم الخارجي والياً عليها سنة ٥٠٥ هـ - م . الا أن الخوارج لم  
يستقروا بها كثيراً ، اذ طردهم محمد بن الاشعث والي مصر من قبل أبي جعفر المنصور  
الخليفة العباسي .

ولما ينس الخوارج من التحكم في القيروان ، تجمعوا بقيادة عبدالرحمان بن  
رستم لنشر مذهبهم الاباضي في جهة تاهرت بالمغرب الاوسط ( الجزائر ) .  
وعجز ابن الاشعث عن القضاء عليهم لصعوبة المنطقة التي اعتصموا بها ، وأسسوا  
مدينة تاهرت لتكون عاصمة دولتهم ورمز استقلالهم وحصنا منيعا يدرؤون به خطر  
أعدائهم .

## 2 السياسة الداخلية 2

كانت القبائل البربرية قد اتفقت على تولية عبدالرحمان ابن رستم الامارة سنة

3 لما ولي عبدالرحمن بن رستم أحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف ولا يخاف في الله لومة لائم فطار ذلك في أطراف الارض حتى وصل ذلك اخوانهم من أهل البصرة وغيرها من البلدان فجمعوا أموالاً عظيمة وبعثوا مع نفر من ثقاتهم ... أتوا المدينة يسألون عن دار الامام عبدالرحمن حتى وقفوا عليها وأصابوا رجلاً على سطح يصلح شقافاً فيه غلاماً يناوله ما يصلح به . قالوا أهذه دار الامام فقال الغلام : نعم فقالوا له : اعلمه انا رسل اخوانه اليه من البصرة . فقال عبدالرحمن : قل للقوم يصيرون قليلاً ثم أقبل على ما كان عليه من اصلاح عمله حتى انقضى والقوم ينظرون اليه وهم شاكون فيه هل هو صاحبهم أم لا حتى نزل عن سطحه الى داره فغسل ما كان بيديه من أثر الطين ثم أذن للقوم فدخلوا عليه فوجدوا حصيراً فوقه جلد وليس في بيته شيء سوى وسادته التي ينام عليها وسيفه ورمحه وفرس مربوط في ناحية من داره فاعلموه أنهم رسل اخوانه اليه فأمر غلامه باحضار طعامه فاتاه بمائدة عليها قرص سخت وسمن وشيء من ملح . فقال على اسم الله ادنوا وكلوا ثم أكل معهم بأكلهم ... فقالوا أعزك الله معنا ثلاثة أحمال من المال بعث بها اليك اخوانك لتتفق بها على زمانك وتصلح بها شأنك فقال لنخرج الى المسجد الجامع فنصلي بالناس ونعلمهم بما جئتم به ... فقالوا الامر اليك . فخرجوا حتى أتوا المسجد الجامع فصلى بالناس : قال للرسول أعلموا اخوانكم . فاعلموهم ثم عطف على الناس فقال ما ترون فقالوا ان هذا رزق ساقه الله الينا من طوع اخواننا بلا سؤال منا فنرى أن ترسل الى هذا المال فتجعل منه ثلثا في الكراع وثلثا في السلاح وثلثا في فقراء الناس وضعفائهم فقال للرسول قد سمعتم ما يقول اخوانكم فما تقولون قالوا نقول سمعنا وطاعة .

ابن الصغير

160هـ - 771م « اذ لا قبيلة له يشرف بها ، ولا عشيرة تحميه ... فان عدل فذلك الذي ارادوا ، وان سار فيهم بغير عدل عزلوه » ، ومن بين العوامل التي دفعتهم الى اختيار عبدالرحمان خوفهم من أن تستأثر بالحكم قبيلة دون أخرى ، ولعل هذه العوامل هي التي دفعتهم الى انتخاب ابنائه وأحفاده من بعد ، رغم أن الخوارج ينادون بالحكم الانتخابي . ويقاومون الحكم الوراثي .

وسار عبدالرحمان سيرة حسنة ، فعرفت البلاد في عهده أمنا واستقرارا وازدهارا فلما توفي اختارت الاباضية ابنه عبدالوهاب اماما ، وخرج عن تأييده بعض القبائل البربرية انكارا للحكم الوراثي ، وتولى الامامة بعد وفاته ابنه أفلح ، فحكم خمسين سنة ، رأى فيها الناس ما رأوا في عهد جده عبدالرحمان وأحسن من ذلك ، فتنافس الناس في البناء والتشييد ، وازدهرت في عهده الحركة الصناعية والتجارة ، وكانت الاموال تجمع من الاغنياء وتوزع على الفقراء ، ذلك أن الدولة الرستمية اتبعت المذهب الاباضي ، أحد مذاهب الخوارج الذين يدعون الى المساواة بين أفراد الشعب دون اعتبار للجنس أو الاصل .

وقد حاول بنورستم نشر مذهبهم الاباضي ، وتسامحوا مع المذاهب الاخرى ، وتركوا حرية المناقشة والمجادلة بين المذاهب دون تعصب لاي مذهب . وأصبحت في عهد الدولة الرستمية مدينة تاهرت ملتقى للخوارج يحنون بها من الاضطهاد الذي يسلط عليهم في أقاليم أخرى مناوئة لمبدهم ، وتأسست بها أحياء لاهل الكوفة والبصرة والقيروان وقرطبة ، وأنشئت بها مكتبة مشهورة عرفت بالمعصومة ضمت عددا كبيرا من الكتب . 3

### 3 علاقة الدولة الرستمية بالدول المجاورة

حاول بنورستم اتباع سياسة حسن الجوار مع جيرانهم ، الا أنهم يردون الفعل عند الاعتداء عليهم . فقد عقدوا اتفاقيات مع بني أمية بالاندلس ، وحسنوا معهم علاقاتهم ولعل ذلك كان نتيجة تشابههما ، اذ كلاهما ثار على الدولة العباسية . وانفصل عنها .

أما علاقتهم مع الادارة جيرانهم من الغرب والاغلبية جيرانهم من الشرق فقد كان يسودها الاضطراب ، وذلك نتيجة رغبة الجارتين في التوسع على حساب الدولة الرستمية ..

تنازع الادارسة وبنو رستم عندما اعلنت قبيلة زناتة عصيانها على الرستميين واحتمائها بالادارسة . وكانت النتيجة انتماء زناتة الى الادارسة نهائيا .  
أما الاغلبة فقد حاولوا توحيد المغرب تحت سلطتهم باسم العباسيين . واعادة النفوذ السياسي بالقيروان . فحاربوا بني رستم ولم يفلحوا في التغلب عليهم .  
وتمكن الفاطميون - نتيجة عدم وجود جيش محكم التنظيم لدى بني رستم - من التغلب على تاهرت واحتلالها سنة 297 هـ - 909 م فتفرق الخوارج في جبال نفوسة وجزيرة جربة وورفلة ومزاب بالجزائر .

3 . . . ثم شرعوا في العمارة والبناء واحياء الموات وغرس البساتين واجراء الانهر واتخاذ الرحاء والمستقلات وغير ذلك واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها واتهم الوفود والرفاق من كل الامصار واقصى الاقطار فقال ليس أحد ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى بين اظهارهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة امامه وعدله في رعيته وأمانة على نفسه وماله حتى لا ترى دارا الا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي وهذا مسجد القرويين ورحبتهم وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين

ابن الصغير

## II دولة الأدارسة

172 هـ - 364 هـ / 788 م - 974 م

### ( 1 ) تأسيس الدولة

تمكن ادريس بن يحيى بن عبدالله أحد العلويين . من أحفاد الحسن بن علي . من النجاة بعد واقعة فح سنة 169 هـ 785 م . تلك الواقعة التي التقى فيها بالقرب من مكة جيش العباسيين بجيش العلويين . والتي قتل فيها عدد كبير من العلويين حتى قيل عنها لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فح .

التحق ادريس بالمغرب الأقصى بعد صعوبات عديدة . اذ عبر امصارا موالية للعباسيين . ولما وصل طنجة التف حوله بعض زعماء القبائل البربرية . اكباراً لانتسابه لآل البيت . ونودي به أميراً سنة 172 هـ - 788 م . فاستقر بمدينة ويلي . قبل أن يشرع في بناء عاصمته الجديدة فاس . الواقعة في الطريق الرابطة بين السهول الاطلسية والمغرب الاوسط .

### ( 2 ) موقف الدولة العباسية

الا أن ادريس الاول لم يتمكن من تركيز هذه الدولة الشيعية الفتية اذ أنه اغتيل بعد خمس سنوات فقط من وصوله الى المغرب . ذلك أن الخليفة العباسي هارون الرشيد لما رأى بأن القوة لن تنفع في مثل هذه الحالة . لبعده المسافة . ولعلمه ما للقبائل البربرية من نزعة انفصالية . استعاض عن ذلك بالدهاء والحيلة . فارسل سليمان ابن جوير الشماخ لاغتيا لادريس . ولما وصل الشماخ الى المغرب الأقصى تقرب من الامير . وادعى أنه طيب . وانه من الناقمين على العباسيين . ومن المؤيدين للعلويين . فلما اطمأن اليه ادريس وقربه اغتتم الشماخ الفرصة ودس له السم . فمات سنة 177 هـ - 793 م . وفر الشماخ الى القيروان فمصر . حيث جازاه الرشيد فجعله على رأس بربر مصر وأخبارها .

ولعل من الاسباب التي شجعت الخليفة العباسي هارون الرشيد على قبول تأسيس امارة اغلبية بافريقية موالية للعباسيين . هو رغبته في تأسيس دولة لتقف بالمرصاد لهذه الدول الانفصالية ولتدراً عنه الاخطار ولتقف على الاقل دون توسعها شرقاً .

### 3 الاطوار السياسية

توفي ادريس ولم يترك وريثا له الا زوجة بربرية (كنزه) حاملا . فانتظر مؤيدوه ولادتها . فلما وضعت ولدا سموه (على بركة الله) ادريسا . وقلدوه الحكم في السنة الحادية عشرة من عمره .

ويعتبر ادريس الثاني المؤسس للدولة الادريسية ولعاصمتها فاس التي اتم بناءها . وانتقل اليها سنة 193 هـ - 808 م صحبه رفاقه ومستشاريه من العرب لتقوية جانبه . واضعاف نفوذ البربر عليه .

وكبرت هذه المدينة خاصة بعد تدفق الاندلسيين والقيروانيين عليها في اوائل القرن التاسع . وبنيت داخلها المساجد والحمامات والاسواق والفنادق وخارجها الارياض . وامتد نفوذ الادارسة على كامل شمال المغرب الاقصى ابتداء من الاطلس الاوسط والقسم الشمالي من السهول الاطلسية .

وبوفاة ادريس الثاني سنة 214 هـ - 228 م اقتسم ابناءؤه العشرة البلاد . فقضوا بذلك على وحدة البلاد . وحطموا ما شيده ادريس الثاني .

وظلت هذه الدولة مفككة الاوصال ضعيفة . فلم يتمكن الحكام من توجيه جهودهم الى التشييد والبناء والاحذ بأسباب الحضارة لانعدام الامن والاستقرار والوحدة . الا في عهد الامير يحيى الاول 221 هـ - 836 م / 234 هـ - 849 م ) الذي انتعشت في عهده البلاد . وتوحدت . فامتد سلطانه . وتوسعت مدينة فاس .

الا أن الحالة عادت الى ما كانت عليه بعد وفاة يحيى الاول بسبب الحروب الاهلية بين ابناء ادريس انفسهم . والنزاعات بينهم وبين الخوارج ( الرستمين ) مما اثر تأثيرا سينا على البلاد اقتصاديا واجتماعيا . فانتشر القحط . وعمدت الاقوات . وغلت الاسعار . وعرفت السنون العجاف . وفشا الموت لدرجة لم يعهد أهالي البلاد لها مثيلا من قبل .

وزادت الظروف الطبيعية في شدة الحالة فحدث سنة 267 هـ - 880 م زلزال اهلك عددا كبيرا من الناس وحطم عديد المباني .

وأصبحت الدولة الادريسية خاصة في عهدها الاخيرة تدين بالولاء والطاعة تارة للفاطميين وطورا للامويين بالاندلس الى ان سقطت على يد الفاطميين سنة 310 هـ - 921 م ولم يبق أثر سياسي للادارسة الا في الجبال المتاخمة لطنجة قضى عليه الامويون نهائيا سنة 364 هـ - 974 م .

الا أن الادارسة وان لم يلعبوا دورا سياسيا هاما نتيجة التجزئة التي عرفتها





# الدولة الأغلبية وبروز الدّانية التّونسيّة

184 هـ - 296 هـ / 800 م - 909 م



ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل  
أن تستحكم فيها دولة لاختلاف الاراء والاهواء  
وأن وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمنع دونها  
فيكثر فيها الانتفاض على الدولة والخروج عليها .  
، ابن خلدون « ص 164 » .  
فلما تفرقت عصبية البربر أملا أن يكون في  
قطرهم عصبية ملك في بيت معروف نشأ بين  
أظفارهم والتحم بجلدهم فسكنت نفوسهم الى  
واحد منهم ٠٠٠ وتنافس الناس في الخلال الحميدة .  
، ابن أبي الصيف ج ١ « ص 102 » .

بعد تلك الثورات الدامية والركود في ميدان الانتاج منذ نهاية ولاية موسى بن نصير  
ظهرت على أرض افريقية العربية الاسلامية دولة حققت استقرارا وأمنا ونتاجا متنوعا  
وحضارة راقية فتفرغ الناس للعمل والعلم والانتاج ولادارة شؤونهم بأنفسهم . ورواوا  
أن في ارسال الجيوش والولاة من دمشق وبغداد مساً بكرامتهم فقاموهم . ودرأت  
هذه الدولة عن العباسيين خطر المناوئين الادارسة العلويين والخوارج الرستميين والأمويين  
بالاندلس .

وكان انتصاب هذه الدولة نقطة تحول في تاريخ افريقية وتخلصا من التبعية  
العباسية ومن اعانة مصر لافريقية .  
وهكذا حققت هذه الدولة منافع لكل الاطراف : لسكان افريقية الأمن والسيادة  
وللعباسيين الاطمئنان بعد أن أقضت مضاجعهم ثورات البربر وأقلقهم خطر الانفصاليين .

## انتصاب الدولة الاغلبية وتطورها

### ١ ( الوضع بولاية القيروان قبيل انتصاب الاغالبة

تعددت الثورات بالمغرب العربي فانفصلت بعض الاقاليم عن الدولة العباسية  
وتأسست بها دول مستقلة كالدولة الرستمية بالجزائر والادريسية بالمغرب الاقصى  
والاموية بالاندلس وظلت افريقية على ولائها للعباسيين . ولكن الثورات كانت مشتعلة  
على الولاة الذين ظلموا واستبدوا وبالخصوص الولاة الذين كانت لهم قرابة بالخلفاء أمثال

محمد بن مقاتل العكي أخي الرشيد من الرضاة الذي جار واستبد . وأقدم على ضرب العالم الجليل البهلول بن راشد أحد أصحاب الامام مالك من الافارقة . فثار عليه عامله بتونس تمام بن تميم التميمي . وانتصر عليه ولاحقه الى القيروان . وأخرجه منها . فاستنجد العكي بابراهيم بن الأغلب عامل الزاب . فأنجده وانتصر على تميم وأعاد الولاية الى العكي محافظة على عهد الخليفة .

أمام هذا الموقف الذي وقفه ابراهيم بن الأغلب في الدفاع عن عهد الخليفة . عزل الرشيد العكي . وولى ابن الاغلب ولاية افريقية . فابتهج الناس لولايته . اذ هو ابن الاغلب بن سالم بن عقال التميمي الذي سبق ان تولى والده الاغلب ولاية افريقية في عهد الخليفة المنصور وحارب الخوارج وقتل في حروبه معهم سنة 150 هـ - 767 م يعرف ظروف المنطقة وأحوال الناس .

## 2 - افريقيا تستقل عن الدولة العباسية

نشأ ابراهيم بافريقية وعلم عوائد أهلها وطباعهم ومنازل اشرافهم . ولذلك فهولن يقف الموقف الذي وقفه العكي من البهلول بن راشد . وهكذا سكنت قلوبهم الى واحد منهم فأيدوه وأعانوه في ادارة الولاية المريضة وأغروه بطلب الامارة . فعرض ابراهيم بن الاغلب الامر على الخليفة هارون الرشيد . مشترطاً على نفسه الغاء الاعانة السنوية التي كانت تستلمها افريقية من مصر . ومقدارها مائة الف دينار . وملتزماً بدفع اربعين الف دينار الى الخليفة مع الولاة للعباسيين .

استشار الرشيد وزراءه ورجال دولته . فأشاروا عليه بالقبول بعد أن رأوا بأن افريقية أصبحت عبئاً ثقيلاً على الدولة العباسية ومصدراً للثورات الدامية . وبانت لهم مقدرة ابن الاغلب في نشر الامن وسيادته دون أن تفقد افريقية وتفصل عن الخلافة العباسية . فاقنع بذلك وولاه الامارة التي توارثها ابناءؤه وأحفاده من بعده .

تولى حينئذ ابراهيم بن الاغلب الامارة سنة 184 هـ - 800 م في وقت كانت البلاد فيه في غاية الفوضى . ولكن قوة شخصيته . وثبات عزمته . ومعرفته بالقيادة الصحيحة . وظروف البلاد . ونفسية سكانها . وحبه لهم . وعلمه الواسع . كل ذلك جعله يوطد الامن بالبلاد . ويقودها الى الحكم الذاتي رغم ان الاغالبية لم يعلنوا الاستقلال رسمياً . بل ظلت تربطهم بالعباسيين بروابط الولاة والصداقة . وظل علم الاغالبية العلم الاسود شعار العباسيين . وطبعت أسماء الخلفاء على النقود الاغالبية . وخطب لهم على المنابر وحافظ الاغالبية على التزاماتهم تجاه الدولة العباسية .

### 3 ( الدولة الاغلبية بين القوة والضعف

حكم الاغلبة افريقية فترة تزيد عن القرن . عرفت خلالها ازدهارا وقوة خاصة في عهد مؤسسها ابراهيم بن الاغلب الذي وطد أركان الدولة . وتغلب على الحركات المناوئة بطرابلس وتونس . وأسس مدينة العباسية . وكذلك في عهد زيادة الله الاول الذي أحمد بصعوبة ثورة الطنّدي بتونس بعد ان استفحل أمره وعضد جانبه عدد كبير من الجند . فقد تمكن الطنّدي من احتلال جزء كبير من الامارة . ودخل القيروان وضرب النقود باسمه . واضطر زيادة الله الى الاحتماء بالعباسية . 5 6 7

وقد خلد زيادة الله ذكره بفتح صقلية التي أتم تثبيت أقدام المسلمين بها ابراهيم بن أحمد الاغلي والذي واصل فتوحاته حتى جنوب ايطاليا . بعد أن أظهر الندم نتيجة اسرافه في سفك الدماء . ومن أهم انجازات ابراهيم هذا بناء مدينة رقادة . وتأسيس بيت الحكمة . وتشجيع الحركة الفكرية .

وتخللت عهد بعض الامراء فترات ضعف . نتيجة الضرائب المجحفة . والصراع الداخلي بين افراد الاسرة الحاكمة . والركون الى اللهو والملاذات واهمال شؤون البلاد . وكثرة الثورات . فاستفحل الأمر في عهد زيادة الله الثالث الذي تأمر على والده فقتله واغتصب منه الامارة في عهد كانت الدعوة الاسماعيلية ( الفاطمية ) تأكل أطراف الدولة بينما كان زيادة الله الثالث منغمسا في المجون . فدافع دفاع شيخ هرم . ولما أيقن زوال حكمه . جمع ماله وآل بيته . وخرج من رقاده ملتجئا بالشرق سنة 296 هـ 909 م تاركا افريقية للفاطميين .

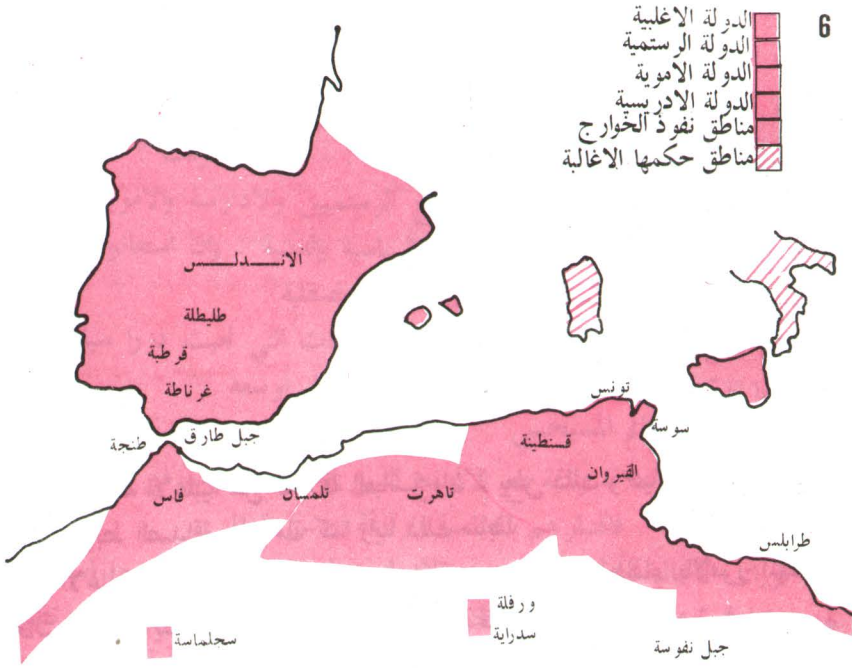
## ابراهيم بن الاغلب مؤسس

5

### الدولة الاغلبية

« كان ابراهيم فقيهاً أدبياً شاعراً خطيباً ذا رأي ونجدة وبأس وحزم وعلم بالحروب ومكائدها . جريء الجنان طويل اللسان . لم يل افریقیة أحسن سيرة ولا أرف بالرعیة ولا أوفى بالعهد ولا أرمى لرحمه منه . فاطاعت اليه قبائل البربر وتمهدت افریقیة في أيامه . »

البيان المغرب لابن عذارى ج 1 ص 83



## 7 كان زيادة الله الاغلب يقول :

« ما أبالي بما قدمت عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات . بنائي المسجد الجامع بالقيروان وبنائي قنطرة أبي الربيع وبنائي سور مدينة سوسة وتوليبي محمد بن محرز قضاء افریقیة . »

روى ابو العرب التميمي في الطبقات عن ابي سهل . قال « سمعت عبدالله بن ابي حسان يقول : « دخلت على زيادة الله بن ابراهيم ، فاصبت عنده أسد بن القرات ، وأبا محرز وهما يتناظران في النبيذ المسكر . وأبو محرز يذهب الى تحليله وأسد يذهب الى تحريمه . فلما ان قعدت قال لي زيادة الله : « ما تقول- يا أبا محمد ؟ فقلت له : قد علمت سوء رأيي فيه ، وقاضياك يتناظران فيه ، بين يدك فقال لي : ناظرني أنت ودعهما وقال لي : ماتقول أنت ؟ - فقلت : أصلح الله الامير . كم دية العقل ؟ فقال : - وماذا من هذا ؟ فقلت : بجوابك ينتظم سؤالي ، فقال لي : دية العقل ألف دينار- قلت له : أصلح الله الأمير ، يعمد الرجل الى ما فيه الف دينار بديكجة تساوي نصف درهم ؟ فقال لي : -يا أبا محمد انه يزول ويرجع - فقلت له : بعد ماذا ؟ اصلحك الله- بعد أن قاء على لحيته ، وكشف سوءته ، وسب هذا ، وقتل هذا ؟ فقال لي : صدقت . والله صدقت !

#### 4 علاقات الدولة الاغلبية الخارجية

##### أ) علاقتها بالخلافة العباسية

استقلت الدولة الاغلبية عن الخلافة العباسية وان لم يعلن ذلك رسميا . ولكن بقيت تجمعها بها روابط الصداقة والمجاملة كما رأينا ذلك سابقا . وظل الاغلبة على اتصال بالخلافة العباسية . يعلمون الخلفاء بالامور المهمة كالفتوحات . وان لم يساعد الخلفاء العباسيون الاغلبة لقمع الثورات التي قامت ضدهم . بل انهم لم يقدموا المساعدة لزيادة الله الثالث الذي استنجد بهم ضد العبيديين . لم يتدخل حينئذ العباسيون في شؤون الدولة الانادرا : - فقد طلب المأمون من زيادة الله الاول الدعاء الى عبد الله بن طاهر صاحب مصر . ولكن زيادة الله رفض طلبه . وبعث اليه بدنانير ادريسية . تهديدا له بتحويل الدعوة الى العلويين . ودفاعا عن استقلال افريقية .

- وقيل ان الخليفة المعتضد بالله العباسي أمر بعزل ابراهيم ابن أحمد الاغلبى عندما بلغه انه كان جائرا ظلوما سفاكا للدماء .

## ب) علاقتها بالدول الرستمية والادريسية والاموية

لقد ساد الفتور نسبيا علاقات الدولة الاغلبية بالرستمية والادريسية والاموية وان ظهرت فترات توتر في هذه العلاقات من ذلك :

- ان عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم جمع البربر بجبال نفوسة . وحرصهم على قتال ابراهيم بن الأغلب . وتواصلت الحرب حتى توفي ابراهيم فتولى مكانه ابنه عبد الله الذي تصالح مع عبد الوهاب بن رستم على أن تكون طرابلس وما يليها من جهة البحر لعبد الله . وما كان خارجا عن ذلك يكون لعبد الوهاب . وقد عمل عبد الله بن ابراهيم للقضاء على الادارسة بالمغرب الاقصى ليأمن جانبهم بعد أن اشتدت شوكتهم . ولكن ادريس بن ادريس كتب اليه يستعطفه . ويسأله أن يعدل عن مناصبته العداة وتفريق انصاره ويذكر له قرابته من الرسول عليه الصلاة والسلام . وأشار عليه مستشاروه بالعدول عن رأيه وقالوا له : « اتركه ما تركك ؟ » فكف عنه . ولعل ذلك ايدانا باستتباب الأمن مع الرستميين والادارسة والامويين بالاندلس مع فتور في العلاقات لاختلاف المذاهب السياسية والدينية . وان استعانوا ببعضهم في الازمات : فقد أنجد الاسطول الأموي الاغالب بصقلية .

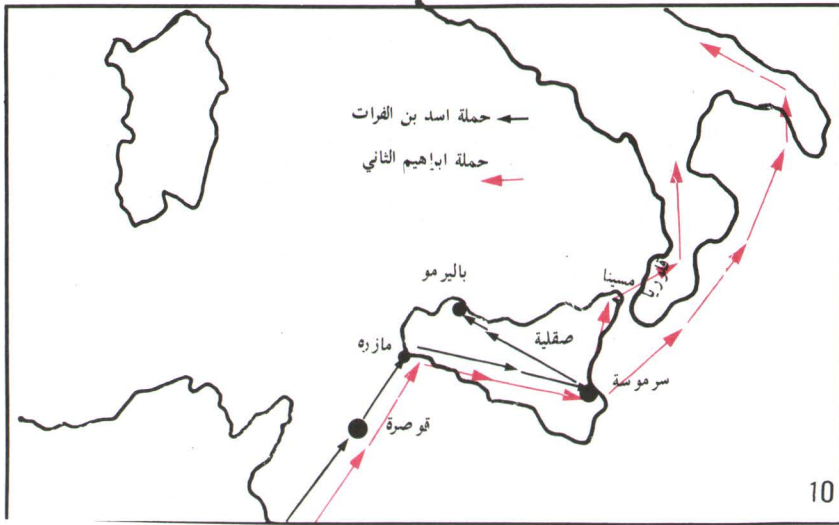
وقد تنقل بين هذه الاقطار عدد من الشخصيات التي لعبت دورا سياسيا وثقافيا واقتصاديا اذ كان التبادل التجاري بين هذه الاقطار على أوسع .

## ج) علاقتها بالعالم المسيحي

ربط الاغالب علاقة ودية مع الافرنج الذين أرسلوا وفودهم في مناسبات عديدة الى الامراء الاغالب . فاقتبلوهم بالعباسية ورفادة أحسن اقبال . ورأى الاغالب بأن أمنهم مهدد بالاسطول البيزنطي ان لم يؤسسوا اسطولا قويا يفتحون به جزر البحر المتوسط لتكون باسلامها درعا يحميها غارات البيزنطيين . ففتحوا صقلية ومالطة وكورسيكا وسرديانيا وجنوب ايطاليا . وقد أثرت حضارة الاغالب تأثيرا مباشرا في هذه الجهات سواء في الحياة الاجتماعية أو الفكرية أو العمرانية . ونذكر مثلا على ذلك :

## فتح جزيرة صقلية

بعد فتح شمال افريقيا فكر العرب في حماية ممتلكاتهم الجديدة بغزو الجزر الواقعة في البحر المتوسط . والتي يمكن ان تكون مصدر تهديد لسيادتهم . ورغم تعدد الحملات على صقلية في عهد الولاة فانها لم تحرز الا نجاحا نسبيا .



11 خطبة اسد بن الفرات عند مغادرته لميناء سوسة في طريقه لفتح صقلية .  
 « لا اله الا الله وحده لا شريك له . يا معشر الناس والله ما ولي لي أب ولا جد  
 ولاية قط . وما رأى أحد من سلفي هذا قط . وما رأيت ما ترون الا بالاقلام .  
 فأجهدوا انفسكم وإبادانكم في طلب العلم وتدوينه . واصبروا على شدته . فانكم  
 تناولون الدنيا والاخرة »

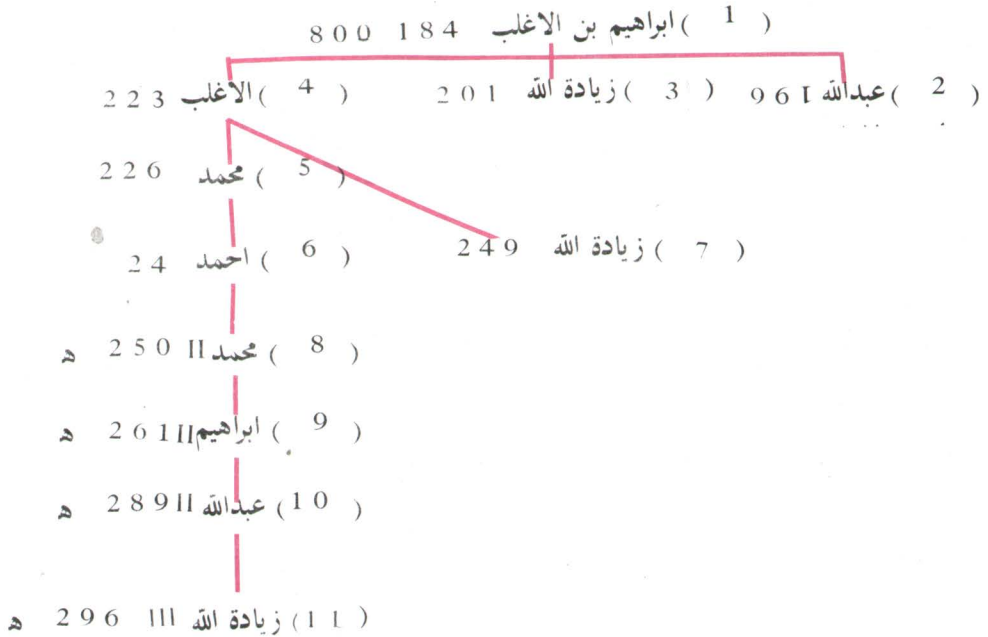
ولما استقرت الحالة في عهد زيادة الله الأول . بعد احداث ثورة منصور الطنبذي .  
 أرسل سنة 212 هـ - 827 م اسطولا بقيادة القاضي اسد بن الفرات . أقلع من مدينة  
 سوسة يضم عشرة آلاف مقاتل متوجهاً إلى صقلية . كسبها لمجد الجهاد في سبيل الله .  
 وابعاد للجنود مصدر الشغب والثورات 11 10

ونزل المسلمون قرب مدينة مازرة . وتمكنوا في وقت قصير من الاستيلاء  
 على بعض المدن الجنوبية وعلى كثير من الحصون . وحاصروا مدينة « سرقوسة »  
 عاصمة الجزيرة . ووجهوا عدة حملات على « باليرمو » وتوفي اسد بن الفرات نتيجة  
 اصابته بجروح في حصاره لسرقوسة . واقتفى المسلمون أثر قائدهم اسد بن الفرات  
 وعزز جانبهم الاسطول الاندلسي فاستسلمت « باليرمو » سنة 217 هـ - 832 م . وتلتها  
 بقية الحصون حتى سنة 264 هـ - 878 م التي استسلمت فيها العاصمة سرقوسة .  
 واصبحت بذلك صقلية منطقة اسلامية تابعة للدولة الاغلبية .



واجتاز ابراهيم بن احمد بن الاغلب الذي وحد صفوف المسلمين - - مضيق « مسينا » قاصداً ارض « قلورية » واحتل عدة حصون بجنوب ايطاليا . وكان الاغلبة قد اتخذوا جزيرة قوصرة في فتحهم لصقلية محطة وسطى لأساطيلهم في الغدو والرواح . وأسسوا بها مركزاً مهماً لحمام الرسائل في المخابرات السريعة . وقد أفادت « قوصرة » الجيش الفاتح بموقعها الوسط . افادة من الاهمية بمكان اذ انها ساعدت الافريقيين على الاحتماء بقلاعها . والتحصن بمرفئها المنيع . وشجع الاغلبة هجرة العرب والبربر اليها . فامتزجوا بالسكان المحليين الذين اعتنقوا الاسلام وتكلموا العربية وقد عمر المسلمون جزيرة صقلية خلال حكمهم لها . واتبعوا مع المسيحيين سياسة التسامح . واحترموا الحرية الشخصية لكل فرد مهما كان اعتقاده .

### 15 جدول الامراء الاغلبة



## II المؤسسات الاغلبية

استقلت الدولة الاغلبية عن الدولة العباسية الا أن نظامها الاداري كان تقليدا للنظام الاداري العباسي . وعرف الجهاز الاداري القيرواني نفس المناصب الحكومية الموجودة لدى الخلافة العباسية .

### 1) الامراء :

لقب ملوك الدولة الاغلبية أنفسهم بلقب أمير . وأصبحوا أحرارا في تعيين الوزراء والعمال لادارة المناطق البعيدة التابعة للدولة . والموظفين . وقواد الجيش . واعلان الحروب . والتوجه للفتوحات . واختيار رؤساء الدواوين وعمال الخراج والقضاة والحجاب . وصلح النقود . ولم تعد الدولة الاغلبية مرتبطة بالدولة العباسية الا في الدعاء للخلفاء على المنابر . ونقش اسمائهم على النقود . واتخاذ الشعار الاسود - شعار العباسيين - شعارا لهم . وقد عمل الامراء الاغالبية على اصلاح ما أفسدته الايام والايادي . وحموا البلاد . ونشروا الامن . وقادوا الشعب الى الرفاهية .

تولى الحكم عن طريق الوراثة 11 أميرا من سنة 184 هـ - 800 م الى سنة 296 هـ  
15 م 909 .

### 2) الوزير :

يلي الوزير منصب الامير الاغلبى . ويتحمل نفس مسؤوليات الوزير العباسي . ويساعد الامير في ادارة شؤون وتعيين الولاة ورؤساء الدواوين بعد استشارة الامير . ولم يتولى منصب الوزارة في العهد الاغلبى من البربر الا نصر بن حمزة .

### 3) القضاة :

عين الامراء الاغالبية القضاة . وتحروا كثيرا في توليتهم لما لهذه المؤسسة من حساسية ذات وجوه منها :

- الوجه الديني

اذ تولية القاضي معناه اعطاء المذهب الذي يتبعه صبغة رسمية . أي يصبح مذهب الدولة . ولهذا كان أغلب القضاة مالكيين . نظرا لانتشار هذا المذهب

بافريقية . ومن أشهر القضاة أسد بن الفرات والامام سحنون بن سعيد .

- الوجه السياسي

اذ يحق للقاضي أن يقف ضد الامير ( نظريا ) ان استهان بالمصلحة العامة وظلم وتجبر . وقد خشاهم الثوار فلم يتمكن منصور الطنبذي مثلا من اجبار القاضيين أسد بن الفرات وابي محرز من تأييد ثورته ضد زيادة الله الأول

- الوجه الشعبي

اذ ان القضاة لهم سلطة استقلالية يتخذون القرارات ويسجلونها وينفذونها دون

12 رباط سوسة بناه الاغالبة : ( ابراهيم بن الاغلب ) ثم وسع في عهد زيادة الله الأول ليعصد رباط المنستير



الرجوع الى اية سلطة . وكانت لهم شرطة وسجون خاصة . ويحق لعامة الناس ان يرفعوا الى القاضي قضاياهم ضد الولاة والموظفين السامين .

#### 4 الولاة :

كانت هذه الخطة مصدر قلق الامراء . نظرا للحركات الانفصالية التي قام بها بعض الولاة . ولو ان معظمهم ابدى الطاعة والولاء للامراء نظرا الى انهم كانوا يختارون من النقاة . اما المناطق الحساسة كتونس وطرابلس وطبنة فان الولاة كانوا يعينون غالبا من ابناء الاسرة الحاكمة .

وتجدر الاشارة الى ان والي القيروان كان يختار بعناية اكبر للتقدم الفكري والحضاري الذي كان عليه سكان القيروان وصعوبة قيادتهم .

ويستعين الوالي في ادارة شؤون ولايته بالقاضي وقائد الجيش وعامل الخراج .

#### 5 ( الجيش :

لعب الجيش الاغلبى دورا مهما في الحياة السياسية ونشر الامن بالبلاد وقمع الثورات العديدة التي اندلعت ضد الاغالبية . ومكنهم من الحكم طيلة اكثر من قرن . وتكونت من قواده طبقة ارسقراطية تاقت الى الحكم احيانا . وقامت بثورات ضد الحكم الاغلبى . كثورة عمران بن مخالذ ومنصور الطنبذي وعامر بن نافع . وبفضل هذا الجيش المنظم المتطور تمكن الاغالبية من فتح مالطة وصقلية وجنوب ايطاليا وغزور سردانيا وكورسيكا .

واحتاط الامراء الاغالبية فاتخذوا حرسا خاصا من الزنوج بلغ عدده العشرة الآف خشية الثورات .

اما الجيش النظامي فقد تكون من فرق الهندسة والمشاة والفرسان والسلاح الثقيل كالمجنانيق .

هذا الى جانب المتطوعين من رجال ونساء دفعهم حماسهم الديني الى ملازمة الرباطات والتغور . لحراسة الحدود . وتعليم الناس . ومعالجة المرضى والجرحى . والاعتناء بالمسافرين . في رباطات المنستير وسوسة ولطة والشابة والخرس وغيرها . ويرسلون الاخبار الى الحكومة بواسطة الحمام الزاجل نهارا وبواسطة الاضواء ليلا « حتى كانت النار توقد بساحل سبتة للندير بالعدو ويتصل ايقادها بالاسكندرية في ليلة واحدة . » 12

ولعبت دور الصناعة بتونس وسوسة دورا كبيرا في تكوين أسطول حمي سواحل البلاد وفتح جزرا عديدة بالبحر المتوسط 9

### III مظاهرا الحضارة الاسلامية بالقيروان

اصبحت افريقية ( تونس ) في عهد الاغالبة من الاقاليم الاسلامية الكبرى التي اشعت بحضارتها على المغرب العربي وجزر البحر المتوسط وأوروبا وجنوب الصحراء الكبرى . بعد أن انتقلت من بلد بربري لاتيني اللغة . مسيحي المعتقد . الى بلد عربي اللغة . اسلامي الدين . مستقر الأمن . شامخ العمران . مزدهر الاقتصاد والثقافة .

1 ) القيروان أول مدينة اسلامية بالمغرب العربي :  
اقراراً للفتح الاسلامي . وتأكيذاً له . وتركيزاً لسلطان العرب بافريقيا . أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان . بعيدة عن شواطئ البحر لحمايتها من هجمات الاسطول البيزنطي . فكان لبناء هذه المدينة - أول مدينة تأسست بافريقية وعاصمة المغرب العربي - الاثر الكبير في نشر الحضارة الاسلامية لا بالمغرب العربي فحسب بل باوروبا وجنوب الصحراء الكبرى .

كانت المباني بمدينة القيروان عند تاسيسها بسيطة على غرار المدن الاسلامية التي تأسست بالشرق . ذات هندسة عربية . وبذلك كانت نموذجاً لبقية المدن الاسلامية التي تأسست بالمغرب العربي . 13 14 15

وتمثل اول بناء في تاسيس المسجد الجامع الذي كان بسيطاً بني بالمدن . غير انه ادخلت عليه تحويرات في عهد الولاة وخلال الحكم الاغلي . شملت كل أجزاءه ماعدا المحراب . فوسع عدة مرات بل هدم وأعيد بناؤه . وبنيت بجانبه على غرار المدن العربية التي تأسست بالشرق دار الامارة . وسكنت كل قبيلة من القبائل العربية المشاركة في الفتح ناحية من نواحي المدينة التي أخذت تتوسع شيئاً فشيئاً حتى تولى الاغالبة السلطة . فزادوها اتساعاً بل أسسوا مدينتين اخريين بالقرب منها .

- العباسية- التي أسسها ابراهيم بن الاغلب سنة 185 هـ - 801 م على بعد خمسة كيلومتر من القيروان . وجعلها عاصمة دولته . وسكنها صحبة حاشيته ومستشاريه وحرسه . وبنيت فوق ربوة خشية فيضانات نهر زروود . وعمرت بقصور فخمة تحيط بها الحدائق الجميلة . وبالمساجد والحمامات والاسواق التجارية وفنادق للمسافرين وتكنات للجيش وساحات جميلة وصهاريج لجمع المياه . ويتوسط كل ذلك قصر الرصافة مقر الأمير . ويحيط بالمدينة خندق عظيم لدرء الاخطار . وظلت عاصمة الاغالبة

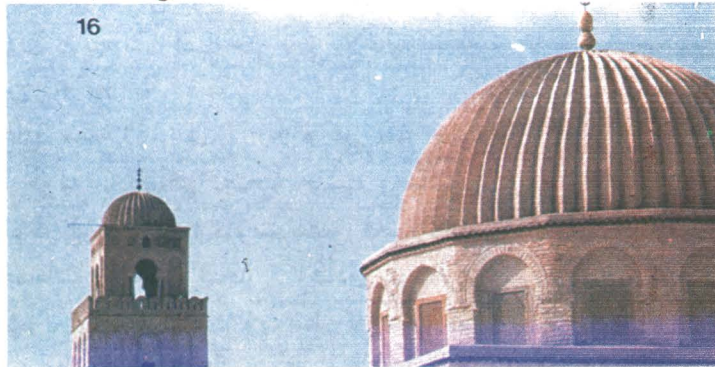
13



14 بيت الصلاة لجامع القبروان



15 قبة الجامع الاعظم بالقبروان



16

تنمو وتتطور . منها تدار شؤون البلاد . وفيها يقتتل السفراء .

- رقادة :

بناها ابراهيم الثاني بن أحمد الاغلي سنة 263 هـ - 876 م بمكان طيب الهواء جيد التربة . تبعد عن مدينة القيروان حوالي ثمانية كيلومترات تخليدا لاسمه وعنوانا على النهضة الشاملة ببلاده . فأحاط بها سورا عظيما وجلب اليها الماء وخزنه في صهاريج محكمة البناء . وشيد لنفسه قصراً فخماً سماه قصر « الفتح » الى جانب القصور الاخرى التي شيدها كقصر « المختار » و « البحر » و « بغداد » . وجلب أخصائين في الهندسة المعمارية والبناء لتشيد تلك القصور . وأحاط بها الحدائق الجميلة وأسس بها أيضا المساجد والحمامات والفنادق والاسواق التجارية . ومهد خارج سور المدينة ميدانا شاسعا سمي « الملعب » تتسابق به الخيول ويستعرض به الجند . 16

#### 16 بناء رقادة

يقول البكري في كتابه « المسالك والممالك ص 27 أن ابراهيم ( بن أحمد الاغلي ) أرق وشرد عنه النوم اياماً متتابعات . لما كان يتعهده من داء السوداء ( المايلخوليا ) فعالجه طبيبه ( اسحاق بن عمران ) فلم ينم . فأشار عليه الطبيب بالخروج والمشي في البرية . فلما وصل الى موضع ( رقادة ) نام . فسميت حينئذ ( رقادة ) واتخذت قرارا ومسكناً وموضع فرجة للملوك ... وليس بافريقية أعدل هواء ولا أرق نسيها ولا أطيب تربة من مدينة رقادة ... وان من دخلها لم يزل ضاحكاً مستبشراً من غير سبب ..

ولكن القيروان رغم ذلك كله لم تفقد شخصيتها ولم تتأثر عمارتها . فكانت شوارعها واسعة واسواقها متعددة . وقصورها جميلة شيدها الاغنياء .  
ولقد تميزت القيروان عن العواصم العربية بفسقياتها الكبيرة الواسعة التي حلت مشكلة المياه سواء لاستهلاك المواطنين أو للري . 17  
واهتمت الاغالبية ببناء الرباطات على شواطئ البحر لحماية البلاد من الغزو الخارجي .

## 2 اشعاع القيروان الثقافي

### أ القيروان اول مركز علمي بالمغرب العربي :

في القرن الثالث الهجري . وبعد تركيز قدم الاسلام بربوع المغرب العربي . واستقرار الحكم للمسلمين . اتجه الناس لطلب العلم والمعرفة والتفقه في الدين فكثرت الكتابات وقامت المساجد بدور المدارس .

ولم تجد القيروان من يراحمها أو يساعدها لنشر الثقافة بالمغرب العربي . فالفسطاط ودمشق وبغداد والكوفة والبصرة وغيرها من المراكز الثقافية كانت بعيدة . لذلك كان عليها أن تنشر الثقافة لابن أبنائها فقط بل بكامل المغرب العربي . وجزر البحر المتوسط التابعة للدولة الاغلبية . وان تشع عبر تلك الجزر الى أوروبا . وعبر أجزاء المغرب العربي الى جنوب الصحراء الكبرى .

ولم يعد الأمر بالقيروان يتعلق في هذه الفترة بتعليم القبائل البربرية مبادئ الدين الاسلامي . اذ تجاوز ذلك الى الجدل والمناقشة في امور الدين المعقدة وفي الخلق في جميع الميادين . وأصبحت المجالس الأدبية والمناظرات العلمية تعقد بالقيروان على غرار ما ببغداد .

وقد شجع الامراء الاغالبية العلم والادب والفقہ . وهذا ليس بالغريب عليهم اذ كان منهم الشاعر والاديب والمفكر والحاذق لعدة لغات اجنبية . بل ان البعض منهم ألف في الادب والتاريخ . وتبرع هؤلاء الامراء بالمال للعلماء والطلبة . 15

### ب) المراكز العلمية بافريقيا :

#### جامع القيروان 18 19

اشتهر جامع القيروان الى جانب مهمته الدينية كبيت للصلاة بتعليم الفقه واصول الدين . فقصده عدد كبير من الطلبة من اصقاع متعددة طلبا للعلم والمعرفة . اذ اشتغل



بالتدريس فيه عدد من العلماء المرموقين كأسد بن الفرات ( 142 هـ - 213 هـ ) وسحنون بن سعيد ( 160 هـ - 240 هـ ) وتخرج على أيديهم علماء بارزون نقلوا المعرفة الى أصقاع أخرى .

وقد عمل بعض الطلاب على الاستزادة في طلب العلم . فارتحلوا الى المشرق وزاروا المدينة وبغداد والفسطاط وغيرها من المراكز العلمية وتزودوا بالعلم ثم عادوا الى القيروان لنشر معارفهم بها بل انهم جلبوا معهم المذاهب الدينية والفكرية ونشروها بالمغرب العربي .

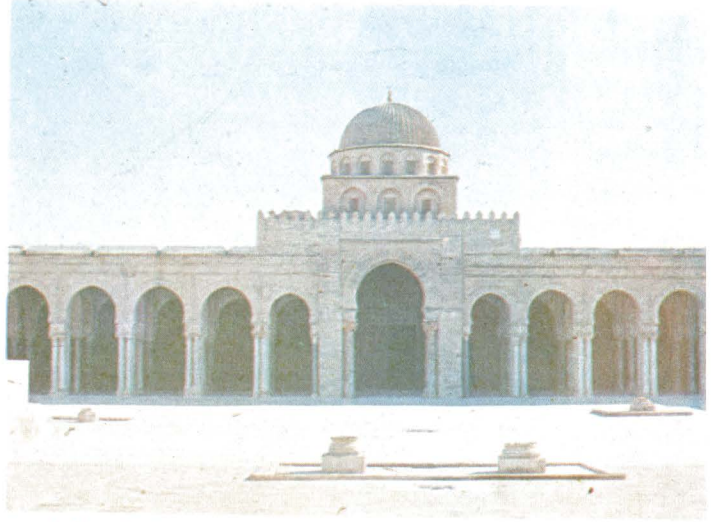
وقد عضد جامع الزيتونة جامع القيروان الذي كان أسسه عبيدالله بن المجاب حوالي سنة 116 هـ : م ووقع توسيعه وتجميله وزخرفته في عهد الاغالبة . وان ظل بدون ماذنة .

وكان جامع الزيتونة ثاني مؤسسة تعليمية دينية بعد جامع القيروان درس به عدد من العلماء والفقهاء المرموقين كأبي بشر الأزدي المتوفي سنة 242 هـ - وعلي بن زياد المتوفي سنة 183 هـ وتلميذ مالك بن أنس .

هذا الى جانب المراكز الثقافية الأخرى كجامع سوسة والرباطات التي قامت هي أيضا بتعليم الفقه .

## بيت الحكمة

أسسه ابراهيم الثاني ابن احمد الاغلي بقيادة سنة 264 هـ - 878 م . وهو اول جامعة علمية تتأسس بشمال افريقيا . وتعتني بدراسة الفلسفة والطب والفلك والترجمة . وأفرد له مكانا في قصره احتوى على قاعات فسيحة وخزائن تضم مجموعة كبيرة من الكتب النفيسة التي استجلبها من الشرق . وعلى آلات فلكية لحساب سير الكواكب ورصدها كالاسطرلاب<sup>20</sup> والمقنطرات والجيوب . واستقدم لهذا البيت عددا كبيرا من العلماء من العراق والشام ومصر . والحق به نخبة من القسيسين المسيحيين استقدمهم من صقلية فانكبوا على ترجمة المؤلفات اليونانية واللاتينية بمعونة رجال افريقيين متصلحين في العربية<sup>21</sup> . وقصد بيت الحكمة عدد كبير من الشغوفين بالعلم والدراسة من مختلف الاصقاع . وأشرف على سير هذا البيت قيسون على رأسهم ناظر<sup>22</sup> .

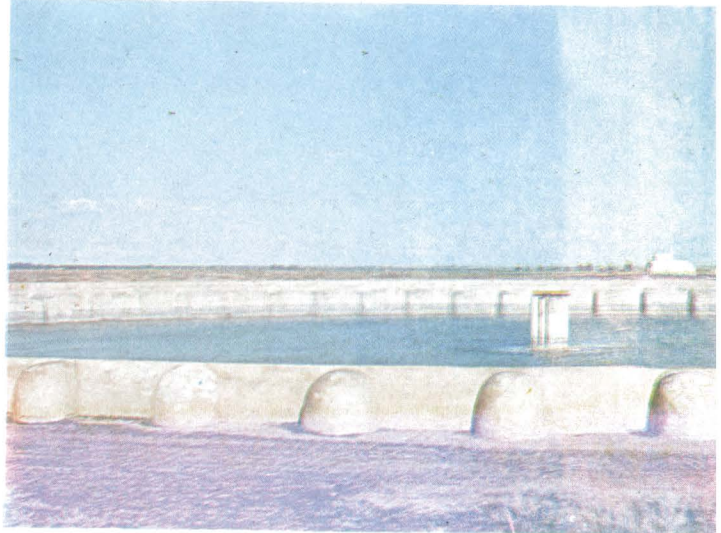


17 باب البهو والرواق الجنوبي لجامع القيروان في العهد الاغربي

18 محراب جامع الزيتونة في العهد الاغربي



19 صورة تمثل فسقية الاغالية





ومن مهام بيت الحكمة تنظيم المناظرات ونشر الثقافة في غير المسائل الدينية التي كانت دراستها منوطة بجامع عقبة بن نافع بالقيروان وبغيره من المساجد ومساكن الفقهاء .

وأشع بيت الحكمة اشعاعه المرجو لاعلى البلاد فحسب بل على صقلية وإيطاليا ومنها انتقل الى اوروبا . وكان سببا في انطلاق النهضة الاوربية وظهور الجامعات .

21 « أبطأ أبو القاسم الوزان عن شيخه عبدالله المكفوف النحوي أياما كثيرة ثم أتاه . فلامه على تخلفه عنه تلك المدة . وقال له : يا أبا القاسم ! نحن كنا سبب ما أنت فيه من العلم وقد علمت كيف كنت أخصك وأوثرك على غيرك . فلما صرت الى هذه الحال قطعنا ؟ قال الوزان : لي اليوم أكثر من شهر اختلف الى ( رقادة ) الى قصر الأمير ( زيادة الله الأخير ) أشكل له كتبنا وأصلحها فقال ( المكفوف ) : سررتني والله . قال : بماذا سررتك ؟ قال : بما يكون من بره ومكافأته على اختلافك اليه وتصحيحك لكتبه . »

مناظرة بين الأمير ابراهيم الثاني بن الاغلب وابو عثمان وسعيد الحداد وعبدالله بن هارون الكوفي وعبدالله بن الأشج وجماعة أخرى في خلق القرآن والعلم

22 قال أبو عثمان : - ثم حول الى الأمير وجهه وقال لي : أقول لك كما قلت لابن طالب . لا أقول مخلوقا ولا غير مخلوق . - قال ( ابو عثمان ) فقلت له : لم ؟ قال : - لأن الله تعالى قال كلامي . ولم يقل مخلوقا ولا غير مخلوق - فقلت له : - فان قال غيرك مثلما قلت في علم الله ؟ فقال : ان الله لم يقل مخلوقا ولا غير مخلوق . وسلك في العلم مسلكتك في الكلام . قال ( ابو عثمان ) : ولم ؟ قال الأمير : لانه لو كان مخلوقا قبل ان يخلق العلم لكان جاهلا . لان ضد العلم الجهل . فقلت له : فكذلك لا يقال في الكلام مخلوق لأنه لو كان مخلوقا لكان موصوفا قبل خلقه بضده وهو الخرس . وما لزم في العلم لزم مثله في الكلام . ودليل آخر : ان العلم لا يعدو احدى منزلتين : اما أن يكون صفة فعل كان من الله عز وجل . فمن شك في خلق ذلك فهو كافر . ومن شك فلم يدر ذلك مخلوق أو غير مخلوق فهو كافر . والكلام لا يعدو هاتين المنزلتين . فالواقف شاهد على نفسه بأنه تارك للقول بالحق - قال ( ابو عثمان ) : فتبسم الأمير وبين لي انه فهم ما كلمته به وابن الأشج يكرر القول ويبيده يريد القول بالوقوف - فاقبل عي الأمير ابراهيم وقال لي : - اقول لك ما كنت أقول لابن طالب - : انت لا تضطرنني الى مذهبك . وانا اضطرك الى مذهبي .

وقد قام بالتدريس في بيت الحكمة عدد من العلماء اشهرهم الاديب الشاعر ابن الصائغ المتوفي سنة ( 296 هـ - 908 م ) والطبيب الرياضي اسحاق بن عمران المتوفي سنة 295 هـ - 907 م والطبيب اسحاق بن سليمان الاسرائيلي الذي قدم الى القيروان من مصر سنة 292 هـ - 901 م والطبيب زياد بن خلفون المتوفي سنة 323 هـ - 935 م وبنو الجزار وهم عائلة برعت في الطب .

### ج) انتشار المذهب المالكي

لا يمكن ان نغفل موضوعا مهما ونحن بصدد الكلام على المظهر الثقافي بالقيروان الا وهو المذاهب الدينية التي رغم تعددها كان الانتصار في النهاية للمذهب المالكي احد مذاهب السنة الاربعة .

لقد امتاز العهد الاغلي باعطاء الحرية لجميع المذاهب الفكرية والمدارس الفقهية . فلم يتدخل الامراء في الجدل القائم بين تلك المذاهب . وفي الراء الفلسفية التي تولدت عن تلك المناظرات . وان اظهروا ميلا وعطفا للمذهب المالكي الذي اعتنقته الطبقة الشعبية وكان اسد بن الفرات ( العالم - القاضي - القائد ) اول من نشر المذهب المالكي . اذ درس على الامام مالك بن انس . والف كتاب الاسدية الذي كتبه عن ابي القاسم تلميذ الامام مالك عندما حل بمصر وهو عائد الى القيروان . غير انه ابدى تسامحا مع المذهب الحنفي لدراسته على ابي يوسف ومحمد بن الحسن تلميذي ابي حنيفة بالعراق . ولعله تأثر بارائهما مما جعل البعض يقول عنه : انه كان حنفيا . 25

25 « قال اسد بن الفرات

« انا اسد والأسد خير الوحوش وأبي الفرات والفرات خير المياه وجدي سنان

والسان خير السلاح »

وجاء سحنون بن سعيد ليقتضي تقريبا على المذاهب الخارجية كالأباضية والصفورية من القيروان بل وحتى على المذهب الحنفي أحد مذاهب السنة . ويعامل متبعي هذه المذاهب بقسوة . بل ويحرق الاسدية كتاب أستاذه اسد بن فرات . ويؤلف كتاب المدونة الذي جمع فيه مختلف مبادئ وآراء المذهب المالكي . وقد ساعده في ذلك توليه القضاء ( وللقاضي شرطة وسجن ) وشعبيته وعطف الامراء الاغلبة على هذا المذهب .

وقد اشتد النزاع بين المذهب المالكي والشيوعي الاسماعيلي في أواخر عهد الدولة الاغلبية .

وهكذا اوضحت القيروان محط انظار  
المتطلعين للعلم ومحط ترحال الراغبين فيه  
تشجع بثافتها على المغرب العربي وجنوب  
أوربا .

## الحياة الاقتصادية

قاوم البربر العرب الفاتحين وخربوا البلاد في وجوههم فانكست الحياة الاقتصادية  
وقل الانتاج ثم استقرت الاوضاع في عهد الاغلبة وانطلقت الحياة الاقتصادية من  
جديد انطلاقا جديدة نوعا وانتاجا ومساحة وتصريفا للبضائع . أحبوا الارض وعرفوا  
كيف يجمعون الماء ويوزعونه .

### أ الزراعة :

اهتم الاغلبة بالزراعة وشجعوا الفلاحين حتى يقوى الدخل القومي ويتحسن مستوى  
العيش . وقد ساعد على ازدهار الزراعة وكثرة الانتاج نظام الري الذي اتبعوه . الى جانب  
استتاب الامن حيث اصلحوا القنوات المائية القديمة . ومدوا قنوات أخرى جديدة وبنوا  
الفسقيات والبرك المائية كبيرة رقادة وصهريج الصفرة وماجل قصر الرباط بسوسة .  
وفسقية الاغلبة المشهورة بالقيروان . ووزعوا المياه باحكام . وكونوا إدارة خاصة لتوزيع  
المياه سمي رئيسها « صاحب المياه » . واصبحت أشجار الزيتون والنخيل والكروم وحقول  
القمح والشعير والقطن تغطي اجزاء كبيرة من البلاد . ووجهوا عناية خاصة للمناطق القليلة  
المياه كالقيروان والساحل والسواصي وشفافس وقمودة . وكانت الارض تزرع بكامل  
العناية . ولوانه طرا أحيانا نقص عل بعض المنتوجات الزراعية نتيجة ظروف طبيعية قاهرة  
اوشطط في فرض الضرائب على المنتوجات الفلاحية كما فعل عبدالله بن ابراهيم الاغلب .  
وكانت تحيط بالمساكن بساتين كبيرة لاصناف عديدة من ثمار التين والزيتون واللوز  
والمشمش والفسق . كما اهتموا أيضا بتربية الحيوانات كالاغنام والابل والخيول .  
وطور الاغلبة الزراعة بالجزر التي فتحوها فادخلوا اليها عدة زراعات لم تالفها من  
قبل كالقطن وقصب السكر واشجار البرتقال والفسق .

### ب الصناعة :

عمل الاغلبة أيضاً على ازدهار الصناعة كصناعة البارود والزيج والصابون والورق والزرايب

والاقمشة القطنية والحريرية والزجاج واهتموا بصناعة الحلي واللؤلؤ والمرجان واستخراج المعادن وصناعة الاسلحة .

### (ج) التجارة : 26 27

شجع الاغالبية التجارة فأنشأوا الاسواق بالقرب من الجامع الكبير للمدينة . واختصت كل سوق بحرفة كالعطارين والحدادين والسراجين والنجارين . وتحتوي هذه الاسواق على دكاكين متلاصقة ومتقابلة بينها ممر معقود السقف وعلى حافتي الممر مصطبة قصيرة للجلوس .



26 دينار ابراهيم بن الاغلب ضرب سنة 189 هـ 804 م وكتب عليه غلب محمد رسول الله اعداء الله  
27. دينار ابراهيم بن الاغلب ضرب سنة 196 هـ - 812 م وكتب عليه لاله الا الله وحده لا شريك له



ومهد الاغلبة الطرقات . وأصلحوا ما فسد منها . وبنوا الجسور كقنطرة أبي الربيع القريبة من القيروان . وأمنوا السبل . وأوجدوا الفنادق ومراكز الاستراحة للقوافل التجارية التي كانت تنتقل في راحة بال واطمئنان . فقد كانت تقطع الصحراء الكبرى الى السودان الغربي فتجوب آفاقه مثقلة بالبضائع الاغلبية من منسوجات قطنية وصوفية وحريرية وسروج ولبود وأقفال حديدية ومفاتيح وملح . وتعود محملة بالذهب والعاج والرقيق ( وقد كان لابراهيم الثاني عدد يفوق العشرة آلاف زنجي من هؤلاء العبيد ) .

وحسن الاغلبة أسطولهم التجاري الذي نقل البضائع المختلفة عبر اجزاء البحر المتوسط . كثرت حينئذ المعاملات التجارية . وازدهرت الحياة الاقتصادية . وتغلب ابراهيم بن أحمد الاغلي على الازمات الاقتصادية . فطبع الدراهم الصحاح وأبطل ما كان يتعامل به من نقود . فأنكر الناس ذلك . وأغلقوا محلاتهم التجارية . وتوجهوا الى رقادة . وصاحوا على ابراهيم . فحبسهم بالجامع . وسمع أهل القيروان بذلك . فخرجوا الى باب السور . وأظهروا العصيان . فأرسل إليهم وزيره . فرموه بالحجارة . وسبوه . فرجع الى ابراهيم وأخبره الخبر . فركب ابراهيم الى القيروان مع حاجبه نصر بن الصمصامة في جماعة من الجند . فاستعد أهل القيروان لقتاله فاسترضاهم . وأبطل النقود . وضرب نقوداً جديدة .

وهكذا ارتقى مستوى العيش وعمرت البلاد  
ووجدت المدن الآهلة بالسكان العامرة بالبنيان  
المزدهرة الاقتصاد .

#### 4 الحياة الاجتماعية

استقرت القبائل العربية ابان تأسيس مدينة القيروان باحيائها المختلفة . ثم توسعت المدينة فسكنت لا من طرف القبائل العربية فقط بل من طرف قبائل أخرى وطبقات اجتماعية متباينة . أصبحت تتمتع بوعي سياسي نتيجة النهضة الثقافية والازدهار الاقتصادي مما جعل الامراء الاغلبة يعيرون أهمية أكبر عند تعيين والي القيروان ويتنازلون في بعض الأحيان عن قراراتهم ومواقفهم أمام ضغط الرأي العام القيرواني كما وقع في ثورة الدراهم .

وقد بنيت القصور الفخمة وانتشرت حياة البذخ واللهو . وكثرت مجالس الشرب والغناء . ووجد الغلمان والجواري . وخاصة بقصور العباسية ورقادة . بينما حافظت القيروان -نسباً- على طابعها الديني مما جعل أحد شعراء القيروان يقول :



يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَابْنَ سَيِّدِهِمْ  
وَمَنْ إِلَيْهِ الرِّقَابُ مَنْقَادَةٌ  
مَا حَرَّمَ الشَّرْبَ فِي مَدِينَتِنَا

وَهُوَ حَلَالٌ بِأَرْضِ رَقَادَةٍ

كان هذا بين أبناء الطبقة الاستقرائية . ثم انتشر حتى بين صفوف الطبقة الشعبية . وكان من بين السكان الذين سكنوا القيروان عائلات عربية متنفذة وبربرية تركت الترحال واستقرت بالمدينة . وأقليات أندلسية ويهودية ومسيحية من بقايا البيزنطيين ومن سكان صقلية الذين أتوا القيروان بعد الفتح الاسلامي للجزيرة . وتكونت من هذه الاجناس طبقات ارستقراطية حاكمة ومتنفذة . وتجار لعبوا دورا مهما في الحياة الاقتصادية . ونخبة مثقفة لها تأثير في الحياة السياسية . وطبقات شعبية تتكون من اصحاب الحرف والجنود .

### عبدالله بن ابراهيم بن الاغلب والضرائب

لما فرض عبدالله بن ابراهيم ضرائب مجحفة على الفلاحين بالغاء العشر وجعله ثمانية دنانير اخصبت الارض ام اجدت مما جعل الناس يبيعون اثارهم وحيواناتهم لتسديد الضرائب وبذلك تعثرت الحركة الفلاحية فصدده بعض المصلحين وقال له :  
« اتق الله ايها الامير في شبابك . وارحم جمالك . واشفق على بدنك من النار .  
بازالة الجور عن رعيتك . وخذ فيهم بسنة الله ورسوله . فان الدنيا زائلة عنك كما زالت  
عن قبلك »



خلافة جديدة تأسست بالقبروان على انقاض الدولة الأغلبية جاءت لتحاول توحيد العالم الاسلامي تحت لوائها ومذهبها الشيعي الاسماعيلي فأسست كمنطلق دولة مستقلة قوية بافريقية امتد نفوذها من المغرب الاقصى والمحيط الأطلسي غربا . الى بركة شرقا ثم توسعت فشملت مصر وفلسطين والشام والحجاز .

تلك هي الدولة الفاطمية التي هددت الروم والأمويين والعباسيين وان هددت وجودها ثورة صاحب الحمار .

## 1 من هم الفاطميون ؟

### 4 كيف توصلوا الى انشاء دولة شيعية ؟

## 7 الفاطميون ومبادئهم

اعتمدت الدعوة الفاطمية على مبادئ ذات أسس سياسية ودينية .

### أ الأسس السياسية

يرى الفاطميون أن آل بيت رسول الله من علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول أحق بزعامة المسلمين . وان الخلفاء الراشدين أبا بكر وعمر وعثمان اغتصبوا الخلافة من علي فالرسول لم يترك وريثا . من الذكور ولم يوص بالخلافة من بعده . لذلك تصبغ الخلافة حقا شرعيا لابن عمه ولأبنائه وأحفاده من ذرية فاطمة . ويرون أن عملية الاغتصاب هذه قد استمرت في عهد الأمويين والعباسيين . لذلك وجب على المسلمين مقاومة المعتصبين وارجاع الحق الى أصحابه الشرعيين وهم الفاطميون .

### ب الاسس الدينية

يختلف الفاطميون عن العباسيين في نظرهم للخليفة . وان كانوا جميعا يعتقدون بأن الخليفة ظل الله على الارض . الا أن المفهوم الفاطمي يصبغ على الخليفة صفة التقديس . ولذلك فالفاطيون يعتقدون أن الخليفة أعلى من سائر البشر . وانه يختص ببعض الصفات الالهية . فهو ليس حاكما سياسيا فحسب بل اماما معصوما من الاخطاء . ويدعون بأن الامام سينتشل الاسلام من الهوة التي تردى فيها . وينشر الأرض عدلا بعد

أن امتلأت جوراً وهكذا أخذوا ينشرون دعوتهم بواسطة دعواتهم الذين أرسلوهم سراً إلى الأقاليم النائية عن مركز الخلافة العباسية كاليمن والمغرب . وقد توصل عبيدالله المهدي إلى تأسيس دولة بالقيروان سماها أهل السنة الدولة العبيدية نسبة إليه .

ويتنسب عبيدالله المهدي إلى الامام اسماعيل بن جعفر الصادق أحد أئمة الشيعة من أحفاد علي وفاطمة . ومن هنا جاءت تسميتهم بالفاطميين وتسمية فرقتهم الشيعية بالاسماعيلية .

## 2 ابو عبيدالله الصنعاني داعي الشيعة بالمغرب :

اضطهد الأمويون ثم العباسيون الفاطميين . فالتجأ هؤلاء إلى اليمن احتماها بها بعدها عن مقر الخلافة . وأرسلوا دعواتهم إلى الأقاليم البعيدة لنشر دعوتهم . وعين عبدالله الصنعاني من اليمن ليكون داعية الفاطميين بالمغرب العربي . وقدم صحبة جماعة من قبيلة كتامة البربرية كان التقى بهم بالحج . وأستقر بفتح الأخيضر ( مكان جبلي حصين بالقرب من مدينة سطيف بالجزائر ) وأخذ ينشر المذهب الفاطمي الاسماعيلي بين أفراد القبيلة التي أيدت هذا المذهب وعضدت جانبه . وكان أبو عبدالله الصنعاني قد اتبع معهم سياسة تنطوي على الحكمة وبعد النظر وقرار العدل بين الناس .

## 3 سقوط الدولة الأغلبية وانتصاب الفاطميين

استغل أبو عبدالله الصنعاني حب أبناء كتامة لركوب الخيل وشجاعتهم . ورغبتهم في التخلص من سلطة بني الأغلب فنظمهم تنظيمًا عسكريًا . وزحف بهم على المدن الأفريقية التي أذعن له الواحدة بعد الأخرى . حتى كان اللقاء الفاصل مع الجيش الأغلبي بالأربس قرب مدينة الكاف بعد أن عزل القيروان عن كل إعانة . ودارت الدائرة على الجيش الأغلبي فانهمزم . وواصل الصنعاني زحفه نحو القيروان مظفراً . ودخلها بعد أن غادرها الأمير الأغلبي زيادة الله الثالث ملتجئًا بالمشرق العربي . فأقبله أعيانها وعلمائها سنة 296 هـ / 909 م فأمنهم وأمن السكان .

لم يجد حينئذ الفاطميون صعوبات كبيرة للاطاحة بالدولة الأغلبية . وهذا يعود إلى عدة أسباب أهمها :

- كثرة الضرائب التي سلطها الأغلبية على عامة الشعب . ومناداة أهل الشيعة بالرجوع إلى القواعد الإسلامية في جباية الأموال وان لم يعملوا بذلك فيما بعد )
- ميل الناس لتأييد كل من يتنسب إلى آل البيت .



30

دينار عبيدالله المهدي ضرب سنة 308 هـ 920 م بالمهدية كتب عليه عبدالله لا اله الا الله وحده لا شريك له أمير المؤمنين

29

من رسالة وجهها المعز لدين الله الفاطمي الى الحسن الاعصم القرمطي :  
« انا كلمات الله الازليات . واسماؤه التامات . وأنواره الشعشعانيات . وأعلامه  
النيرات . ومصايحه البيئات . وبدائعه المنشئات . وآياته الباهرات . وأقداره النافذات .  
لايخرج منا أمر . ولا يخلو منا عصر . وانا لكما قال الله سبحانه وتعالى : « ما يكون من  
نجوى ثلاثة الا هورابعهم . ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هومعهم أينما كانوا . ثم  
ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم »  
تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ص 266 عن المقرئ اتعاظ الحنفاء 134  
المعالم التونسية  
صيرة- المنصورية  
قال البكري في كتابه المسالك :

« ومدينة صيرة متصلة بالقيروان . بناها اسماعيل المنصور سنة 337 واستوطنها  
وسماها « المنصورية » وهي منزل الولاة الى حين خرابها . ونقل اليها المعز بن المنصور  
اسواق القيروان كلها وجميع الصناعات . ولها خمسة أبواب : الباب القبلي . والباب  
الشرقي . وباب زويلة . وباب كتامة وهو جوفي . وباب الفتوح . ومنه كان يخرج  
بالجيوش .

132



31 دينار ابي عبدالله الصنعاني ضرب سنة 296 هـ 909 م بالقيروان بوسطه:بلغت  
لا اله الا الله وحده لا شريك له  
حجة الله  
وعلى طوفاه محمد رسول الله

32 دينار فاطمي ضرب سنة 297 هـ 909 م كتب عليه : تفرق محمد رسول الله اعداء الله



- الصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة - وسوء سلوك بعض الأمراء .
  - إبعاد الأمراء الأغلبية للجنود العربي وقواده . وتشجيع الهجرة الى صقلية خوفا من الثورات العربية عليهم . أحدث نقصا في القوة الدفاعية للدولة الأغلبية 30 31
- 32 ( 4 ) **قدوم عبيدالله المهدي الى المغرب متنكرا :**

غادر عبيدالله المهدي الشام . والتحق بأبي عبدالله الصنعاني متنكرا عن العيون التي نصبها العباسيون والأغلبية لالقاء القبض عليه . حتى وصل سجلماسة بالمغرب الأقصى . وكانت تحت سلطة بني مدرار . فحبسه أميرها . ولم تنفع معه الرشوة التي استعملها عبيدالله مع بعض الولاة في طريقه الى المغرب .

ولما استقرت الأوضاع للصنعاني عاد الى سجلماسة . فأطلق سراح عبيدالله واستقدمه الى القيروان حيث أقبه الناس ورحبوا به . ونصب الصنعاني عبيدالله المهدي خليفة للمسلمين ولقبه بأمير المؤمنين . وهكذا تأسست بالقيروان دولة فاطمية قضت على حكم بني مدرار بالمغرب الأقصى وبني رستم بتاهرت وبني الأغلب بأفريقية . 33

33 خاطب أحد الشعراء عبيدالله المهدي عند حلوله بالقيروان بهذه الايات :

حل برقادة المسيح

حل بها آدم ونوح

حل بها أحمد المصطفى

حل بها الكبش والذبيح

حل بها الله ذو المعالي

وكل شيء سواه ربح

## II اهم الاطوار السياسية :

### ( 1 ) توطيد أركان الدولة :

تولى عبيدالله المهدي السلطة الدينية والمدنية واتخذ مدينة رقادة بالقرب من القيروان عاصمة لدولته وقسم الأعمال والوظائف الهامة على رؤساء قبيلة كتامة الذين ساعدوا على اقامة هذه الدولة . وعلى من يتق بهم . واعتمد على نفسه في تسيير شؤون الدولة . وحد من نفوذ الوزراء الذين أصبحت مهمتهم تنفيذ أوامره وقراراته . واتخذ مستشارا يلقب بداعي الدعاة وحجابا يربطون الصلة بينه وبين الرعية . وقد جابه في بداية حكمه ثورات صقلية وتاهرت وطرابلس غير أنه وقف أمام هذه الثورات بكل حزم وأخضع الثائرين .

وقتل عبدالله المهدي الداعي ابا عبدالله الصنعاني واخاه ابا العباس لما دام التكري له . وهو ما وقع لابي مسلم الخراساني مع ابي جعفر المنصور الخليفة العباسي .  
ولما استتبت له الامور فكر في بناء عاصمة جديدة لما كان يوجس من مقاومة اهل القيروان السنين لمذهبه الشيعي .

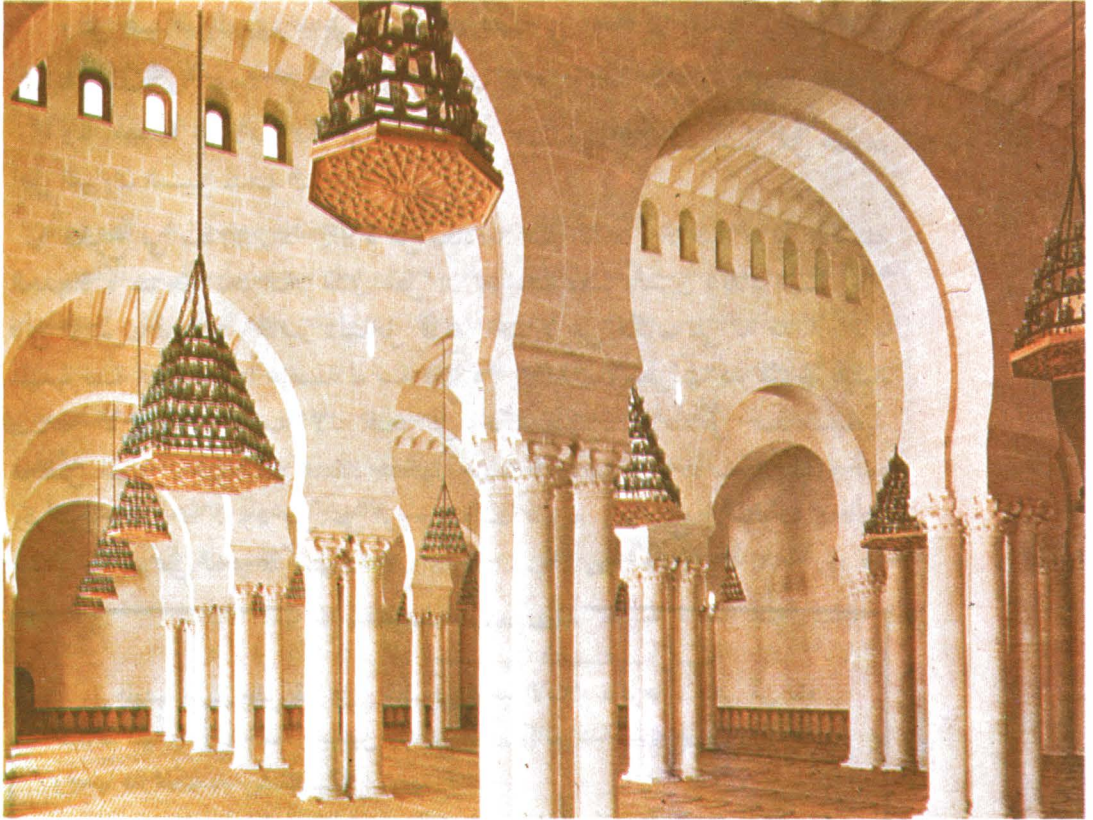
فخرج في سنة 300 هـ - 912 م من رقادة . مقر اقامته . لاختيار موقع عاصمته الجديدة . متوجها نحو البحر الذي يامل ان يغزو منه مصر والشرق وبلاد الروم . فاتي تونس وقرطاج وطاف بالساحل فوقع اختياره على مكان بنى به مدينة سماها المهديية نسبة اليه واتخذها عاصمة له سنة 308 هـ - 921 م . واسبس بها دار صناعة تعضد الصناعة الاخرى اذ اكا منه لاثر البحر في حركة النضال الاسلامي ضد المسيحية فحصن المواني وجهاز سفنا عديدة شحنها جنودا وسيرها الى جنوب ايطاليا وجنوة وكرسىكا وسرديانيا . وفرض على الروم ضرائب سنوية . واصبح الاسطول الفاطمي يسيطر على حوض البحر المتوسط . 34 35

#### 34 مدينة المهديية

« المهديية مدينة جليل قدرها . شهير في قواعد الاسلام ذكرها . وهي من بناء عبدالله المهدي اول خلفاء العبيديين واليه تنسب . وكان ابتداء بنائه لها سنة 308 هـ . وجعلها دار مملكته .

« واول ما ابنتى منها سورها الغربي الذي فيه ابوابها ثم امر بحفر مرسى المدينة . وكان حجرا صلدا . ففقره نقرا وجعله حصنا لمراكبه الحربية . واقام على قم هذا المرسى سلسلة من حديد يرفع احد طرفيها عند دخول السفن ثم تعاد كما كانت . تحصينا للمرسى من دخول مراكب الروم . وابنتى ( دار الصناعة ) وهي من اعاجيب الدنيا . ثم شرع في حفر الاهراء بداخل المدينة . وبنى الجباب والمصانع . واخترن الاهراء بالطعام . وملا الجباب بالماء .

« وكان سماع المهديية في اول بنائها من الجوف الى القبلة قدر غلوة سهم . فاستصغرها المهدي عند ذلك فردم من البحر مقدارا وادخله في المدينة فاتسعت . والجامع الاعظم الان والدار المعروفة في القديم بدار المحاسبات من جملة ما ردم من البحر وابنتى لسائر الناس مدينة اخرى تسمى ( زويلة ) وهي احدى المهديتين . وبينهما قدر غلوة سهم . وجعل الأسواق والفنادق فيها . وكان بخارجها الحمى المعروف بحمى زويلة . وكان كله جنات وبساتين بسائر الثمار وانواع الفواكه .  
( عن رحلة التجاني )



### ثورة صاحب الحمار

هذه القوة البرية والبحرية الهائلة التي هددت الروم ومصر كادت تقضي عليها ثورة الخوارج الذين وجدوا متنفسا لهم بأفريقية منذ عهد الولاة فلا تسكت لهم ثورة في منطقة الا لتندلع في أخرى .

فقد ثار مخلد بن كسداد الزناتي الخارجي المعروف بصاحب الحمار والمولود بمدينة توزر على الخليفة الثاني القائم بامر الله منكرًا مذهب الشيعة . سابا عليا ابن ابي طالب وشيعته . زاعما أنه يدعو الى الحق ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر . وانطلق من جبال أوراس وركب حمارا لعرج برجله . واطهر التقشف وتلقب بشيخ المؤمنين .



وايدته عدة قبائل بربرية زحف بها على افريقية . وانتصر على جيوش القائم بأمر الله في عدة معارك وافتك تونس والقيروان وحاصر المهديّة واستباح أموال الناس وقتل خلقا كثيرا .

وتوفي القائم بأمر الله الفاطمي وصاحب الحمار محاصر لمدينة سوسة .

وجّه المنصور بالله الفاطمي - الذي أخفى موت والده القائم خشية تشتت جيشه وضعف عزيمتهم - أسطولا تعضده قبيلة صنهاجة البربرية . يتزعمها زيري بن مناد الذي مد الفاطميين بالمؤونة والعتاد والجنود في ظرف حرج بالنسبة للفاطميين الذين أوشك حكمهم على السقوط .

وهجم المنصور بهذا الجيش على سوسة ففك حصارها . وتراجع صاحب الحمار . ولاحق به جيش المنصور . وشتت أنصاره . وحاصره بقلعة كتامة . وظفر به متخنا بالجراحات . وجعل في قفص واقْتيد إلى المهديّة ابن توفي . وصلب على إحدى أبوابها سنة 336 هـ - 947 م .

وهكذا اخمدت الثورة التي دامت حوالي عشر سنوات والتي خربت المدن وازهقت النفوس ونشرت الفوضى بالبلاد وكادت تقضي على الدولة الفاطمية . وقضى المنصور بالله الفاطمي بقية حياته لترميم ما أفسدته هذه الثورة ونشر الأمن والازدهار الاقتصادي بالبلاد .

فأمر ببناء مدينة على بعد ميل من القيروان سماها المنصورية ( صبرة ) نسبة إليه تخليدا لانتصاراته ووقوفه بالمرصاد لتحركات الذين ساندوا حركة الخوارج ورغبة في الحصول على تأييد أهل القيروان المالكين الذين اتبع معهم سياسة التسامح . واتخذها عاصمة له سنة 337 هـ - 948 م . وظلت هي العاصمة حتى انتقال المعز لدين الله إلى مصر .

### 3 ( المعز لدين الله الفاطمي :

في جو آمن مستقر تولى المعز لدين الله الفاطمي الخلافة بعد وفاة والده المنصور بالله وعمره حوالي 24 سنة . ويعتبره المؤرخون موطن اركان الدولة الفاطمية وباني مجدها لما اتصف به من حزم ودراية بالامور السياسية وحسن تدبير . عرف كيف يختار مساعديه وقواد جيشه كالقائد جوهر الصقلي وزيري بن مناد الصنهاجي وحارب بشدة اعداءه البيزنطيين والامويين بالاندلس والاشيدين بمصر المواليين للعباسيين . 36 37

واستدعى المعز أشياخا من كتامة في يوم شات بارد . فدخلوا عليه في مجلس قد فرش بالبيود . وعليه حبة . وحوله أبواب مفتحة تفضى الى خزائن كتب . وبين يديه دواة وكتب . فقال لهم :

« يا اخواننا . أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد . فقلت لام الامراء - وانها الآن بحيث تسمع كلامي - أتري اخواننا يظنون أنا في مثل هذا اليوم ناكل ونشرب ونتقلب في المثقل والديباج والحريز . والفنك والسمور . والمسك والخمر . كما يفعل أرباب الدنيا . ثم رأيت أن أنفذ اليكم . فأحضرتكم لتشهدوا حربي اذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم . واني لافضلكم - في أحوالكم - الا بما لا بد لي منه من دنياكم . وبما خصني الله به من امامتكم . واني مشغول بكتب ترد علي من المشرق والمغرب أحيب عنها بخطي . واني لا أشغل بشيء من ملاذ الدنيا . الا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم ويذل أعداءكم ويقمع أضدادكم . فافعلوا - يا شيوخ - في خلواتكم مثل ما أفعله . ولا تظهروا التكبر والتجبر فينزع الله النعمة عنكم ويقبلها الى غيركم . وتحنوا على من ورائكم . ممن لا يصل الي . كتحتني عليكم . ليتصل في الناس الجديل ويكثر الخير وينتشر العدل . وأقبلوا بعد هذا على نساءكم . والزمو الواحدة التي تكون لكم . ولا تشروها الى التكثر منهن والرغبة فيهن . فيتغص عيشكم وتعود المضرة عليكم . وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم . فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم .

« وأعلموا أنكم اذا التزمتهم ما امركم به . رجوت ان يقرب الله علينا أمر المشرق . كما قرب أمر المغرب بكم . وانهضوا رحمتكم الله ونصركم . » فخرجوا عنده .  
الخطط للمقريزي

نقل الزركشي : أن رسولا من ملك الروم كان يتردد اليه . وهو بافريقية . سفيرا عن سلطانه فأناه بمصر وخلا به المعز . فقال له : أتذكر إذ أتيتني بالمهدية . فقلت لك : لتدخلن علي بمصر وأنا ملكها « فقال له الرسول : « نعم . أذكر ذلك . » فقال له : « وأنا أقول لك الان . لتدخلن علي وأنا خليفة بغداد . » فقال له الرسول : « ان أمني على نفسي ولم تغضب أقول لك ما عندي . » فقال له : « قل ما عندك وانت آمن . » فقال له : « بعثني اليك سلطاني في ذلك العام . فوصلت الى صقلية فلقيني عاملك بما معه من الجيوش فأريت العجب من ذلك . ثم جئت الى سوسة فأريت بها من جنك ما أذهل عقلي ثم سرت الى المهديّة فما كدت أن اصل اليك من كثرة أجنادك ورجالك وخدمك . ووصلت الى قصرك فأريت نورا غطي بصري . ثم دخلت اليك وانت على سريرك فأريت عظمتك . حتى ظننتك خالقا لا مخلوقا . فلوقلت لي يومئذ أنك تعرج الى السماء . ما استبعدت ذلك .

## أ المعزبين لافريقية نفوذها على كامل المغرب العربي

ارسل المعز جوهرًا على رأس جيش كبير لفتح كامل المغرب . ووصل هذا الجيش المحيط الأطلسي بعد ان احتل تاهرت وفارس وسجلماسة وارسل جوهر الى المعز هدية من سمك المحيط . واخضع المعز القبائل البربرية التي لم تخضع لابائه . وقضى على دولة الادارسة ووحده كامل المغرب تحت سلطته وهدد الامويين بالاندلس في غارات متعددة شنها على سواحلهم .

### ب الحضارة الفاطمية

وهكذا نرى ان الدولة الفاطمية بلغت اوج قوتها وان لم تبلغها حضاريا وذلك لقصر المدة وانشغال الخلفاء بالفتوحات وقمع الثورات وعزمهم على عدم الاستقرار بالمغرب العربي منذ تاسيس دولتهم 39- 40 41 42 43

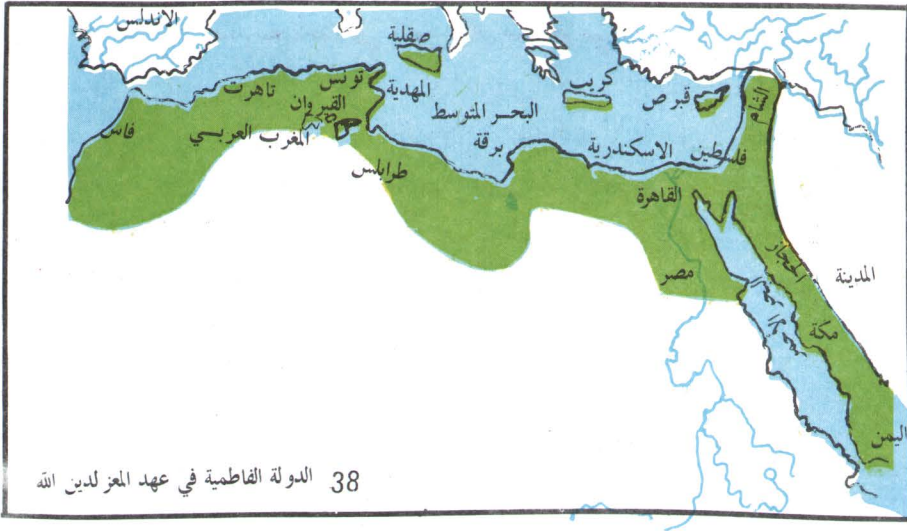
لهذا لم نر خلقا كبيرا في ميدان العمران اذا ما استثنينا انشاءهم لمدينتي المهديّة وصيرة حيث كان بناء المهديّة بناء دفاعيا تميز بالبساطة والقوة .

ومن هنا وجهوا عناية خاصة للجيش فاعده اعدادا قويا ليحافظوا به على ممتلكاتهم ويقمعوا به الثورات ويفتحوا به الاقاليم واعتمدوا على البربر وعصدها هذا الجيش باسطول قوي .

اما من الناحية الادارية فقد انجر عن تنفيذ الخليفة كما رأينا ضعف سلطة الوزير . وجدت ايضا بعض التغييرات عما رأينا في عهد الاغالبية تمثلت في وجود كتابة السر التي كانت تلي الوزارة في الرتبة وكانت لا تسند الا لمن رأى الخليفة فيه الكفاءة والمقدرة والتشيع للمذهب الشيعي وكان من اشهر الكتاب جوهر الصقلي .

تولى السلطة القضائية قاضيان احدهما سني تضاءلت منزلته عما كانت عليه في عهد الاغالبية اذ كان مطالباً باصدار احكامه طبق المذهب الشيعي . وثانيهما شيعي علت منزلته لتضلعه في المذهب واعتناقه لمبادئه وتحمسه مما جعل الخليفة يعضد جانبه اما الجانب الاقتصادي فقد استمر على ما هو عليه الا ما اصابه من التدهور خلال ثورة صاحب الحمار .

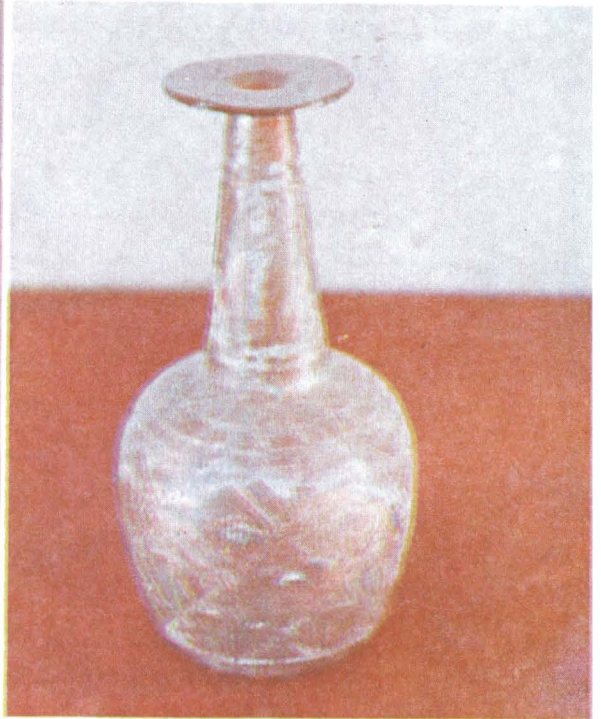
وفي الميدان الفكري فتحن نعلم ان المذهب الشيعي- مذهب الدولة- كان هو السائد . وقد عمل الفاطميون على نشره بكل الوسائل وكانت المساجد تقوم بدور فعال في نشر وتوضيح هذا المذهب .



38 الدولة الفاطمية في عهد المعز لدين الله

39 قنية زجاجية من العهد الفاطمي عليها رسوم هندسية (مدينة صيرة) قنية زجاجية من العهد الفاطمي رسم عليها أسدان بينهما شجرة (مدينة صيرة)

40

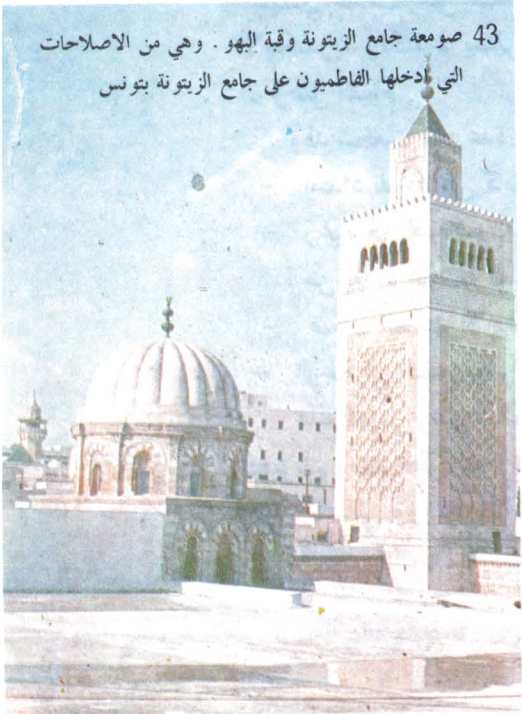


41

نحت بمثل حليقة والى جانبه جارية تعرف على آلة موسيقية من العهد الفاطمي ( المهديّة )



43 صومعة جامع الزيتونة وقبة البهو . وهي من الاصلاحات التي ادخلها الفاطميون على جامع الزيتونة بتونس



42 اناء زجاجي فاطمي يعود الى القرن الحادي عشر ميلادي المتحف القومي التونسي



وقد تطلب ذلك اعداد اخصائين ( الدعاة ) ليقوموا بهذه المهمة . وكان على رأسهم داعي الدعوة الذي يتصف الى جانب تشعبه بمبادئ المذهب بالذكاء والفصاحة والبراعة . في تأويل القرآن وتفسيره حسب مبادئ المذهب . ومن هنا جاءت صعوبة اسناد هذه الخطة ومن أشهر فلاسفة المذهب الاسماعيلي القاضي أبو حنيفة النعمان المغربي داعي الدعوة .

وقد أعاد الخلفاء الفاطميون الهدايا والاموال على الشعراء لمدحهم . اذ في مدحهم تعضيد لجانب الدعوة مما جعل بعض شعراء أهل السنة يحاكون شعراء الشيعة للحصول على هذه الهبات وتلك الحظوة  
ومن أشهر شعراء المعز لدين الله الفاطمي الشاعر الشيعي ابن هاني الذي بالغ في تمجيد الفاطميين .

### ج) فتح مصر :

فكر المعز لدين الله جدياً في فتح مصر . بعد المحاولات المتعددة التي قام بها عبيدالله المهدي عندما أرسل ابنه أبا القاسم ( القائم بأمر الله ) لفتح مصر فدخل أبو القاسم الاسكندرية ولكنه لم يستقر بها وقد تكررت هذه المحاولة ولكن أبا القاسم عاد بعد أن وصل الفيوم .

وقد شجعت المعز عدة عوامل لفتح مصر :

- امتداد نفوذه على كامل بلاد المغرب واستتباب الامن في هذه الربوع .
  - رغبته في اضعاف العباسيين والقضاء عليهم باحتلال الاقاليم الموالية لهم والاقتراب من بغداد عاصمة العباسيين بغية احتلالها .
  - ضعف الحكم الاخشيدي بمصر . وانتشار الفوضى بعد وفاة كفور الاخشيدي .
  - الرغبة في التمتع بخيرات مصر
- هذه العوامل وغيرها شجعت المعز لدين الله الفاطمي على احتلال مصر . فخطط وعبأ الجيوش ومهد الطرقات ونصب الجسور وحفر الابار واسند قيادة هذا الجيش الى القائد جوهر الصقلي وزوده بالمال الوافر . وكتب لسائره عماله بمساعدته والامتثال لأوامره .

وتحرك الجيش الفاطمي نحو مصر سنة 358 هـ - 969 م وفتحها بدون مقاومة تذكر.

وفي ذلك يقول الشاعر ابن هانيء :

تقول بنو العباس : هل فتحت مصر؟

فقل لبني العباس : قد قضي الأمر

وقد جاوز الاسكندرية جوهراً

تصاحبه البشرى ويقدمه النصر

وواصلت جيوش المعز زحفها فاحتلت فلسطين والشام والحجاز . ثم بنى جوهر الصقلي مدينة القاهرة والجامع الازهر وكاتب المعز في ذلك يستدعيه ملكه الجديد . ارتحل المعز متوجهاً الى مصر سنة 362 هـ - 973 م وحمل معه كل ما يملك من ذهب وفضة وجواهر وتوابيت آبائه وعين بلكين بن زيري الصنهاجي نائباً عنه بالمغرب العربي .

وهكذا انتقلت الدولة الفاطمية الى مصر واتخذت عاصمة لها مدينة القاهرة المعزية ، وتولى السلطة بمصر بعد المعز لدين الله الفاطمي عشرة خلفاء دام حكمهم الى سنة 567 هـ - 1171 م . 44 45 46

#### 4: خروج المعز الى القاهرة

قال المقرئ :

«... ولما عزم على الرحيل الى مصر اتاه بلكين به زيري بالقي جمل من ابل زناته وحمل له بالقصور من الذخائر وسبك الدنانير على شكل الطواحين جعل على كل جمل قطعتين في وسط كل قطعة تقباً تجمع به القطعة الى الاخرى . فاستعظم ذلك الجند والرعية ، وصاروا يقفون في الطرق لرؤية بيت المال المحمول ... »





# الدولة الصنهاجية

اعتمد الولاة الامويون والعباسيون والامراء الاغالبية الاوائل بافريقية على العصر العربي وشجعوا الهجرة العربية لتقف ضد الثورات البربرية . ولكن ابراهيم الثاني الاغلبى شرد هذه القبائل العربية فصفا الجو للقبائل البربرية وتاقت الى الحكم وايدت الصنعاني واسقطت الدولة الاغلبية . واعترافا بالجميل أسند الفاطميون اليهم أهم الوظائف وانتقل الحكم الى القبائل البربرية مثل كتامة وصنهاجة وهوارة بانتقال الفاطميين الى مصر .

## I انتصاب الدولة الصنهاجية

### 1 ( صنهاجة والفاطميون

بدأ ولاء الصنهاجيين للفاطميين في عهد القائم بأمر الله الفاطمي عندما سير زعيم الصنهاجيين زيري بن مناد جيشا لمساعدة جيش الفاطميين في حربه ضد قبيلة زناتة التي أيدت الامويين بالاندلس .

واعتمد الفاطميون أيضا على الصنهاجيين في اخماد ثورة صاحب الحمار التي كادت أن تقضي على سلطتهم بافريقيا فمدوه بالمؤونة والعتاد والجنود . وكان لهذا الدور الأثر النفع في القضاء على تلك الثورة .

كما اعتمد المعز لدين الله الفاطمي على القائدين جوهر الصقلي وزيري بن مناد الصنهاجي لاختضاع كامل المغرب وطرد الامويين الذين اكتسبوا تأييد أمراء بعض القبائل بالمغرب الاوسط والاقصى التي خلعت طاعة الفاطميين .

وهكذا وحد المعز لدين الله بمساعدة الصنهاجيين كامل المغرب تحت لواء الفاطميين مذهبا وسياسة وأخضع تاهرت وفاس وسجلماسة .

وقتل زيري بن مناد في حروبه ضد زناتة فتولى ابنه بلكين قيادة القبيلة وانتقم لأبيه منها فقتل وسبى منهم كثيرا فكبر في عين المعز لدين الله .

ولما قرر المعز الانتقال الى مصر فكر مليا في من يخلفه بادارة المغرب العربي فعرض الموضوع على أحد أقاربه لكن هذا اشترط عليه شروطا استنكفها فعرض الامر على بلكين بن زيري فاشترط على نفسه شروطا جعلته مرتبطا ارتباطا كليا بالفاطميين .

## 2 ( العهد الصنهاجي الاول :

تولى بلكين بن زيري - الذي لقبه المعز لدين الله الفاطمي بابي الفتوح يوسف - امارة

المغرب العربي سنة 362 هـ-973 م وكان بلكين قد أسس مدينة الجزائر ومليانة والمدينة وقد اوصاه المعز لدين الله عند مغادرته افريقية بقوله :

لاتنس جميع ما اوصيتك به وان نسيت فلا تنس ثلاثة اشياء : لا ترفع الجباية عن اهل البادية . ولا ترفع السيف عن البربر . ولا تول احدًا من اخوتك وبنيت لانهم يرون انهم احق بهذا الامر منك . واستوص بالمدن خيرا .

وكان بلكين ذا راي ثاقب وقيادة حكيمة . فقاد الجيوش واخمد كل الثورات التي قامت في عهده وخاصة ثورات زناتة بالمغرب الاقصى واسترجع مدن تلمسان وفاس وسجلماسة .

وعند وفاته سنة 373 هـ-984 م تولى ابنه المنصور الحكم ووقف بشجاعة لمناوئة اعمامه الذين زاحموه فهزمهم . والتزم أخذ الناس باللين والاحسان .

### 3 دولة بني حماد الصنهاجية

أما باديس بن المنصور فقد بوع صغيراً فاستضعفته زناتة ولم تعترف باماراته وحاربتة فبعث اليها سنة 388 هـ-999 م عمه حمادا على رأس جيش لقمعها وجعله أميراً على ما يفتحه .

خرج حماد لقتال الثائرين وأحرز انتصارات باهرة شجعتهم على الاستقلال وتولي السلطة . فابتنى لنفسه قلعة حصينة بجهة قسنطينة سنة 398 هـ-1007 م . واتخذها مركز ادارته وملكه .

وهكذا خالف باديس وصية المعز لدين الله الفاطمي لجده بلكين في عدم تولية أقاربه السلطة ، وندم باديس على ما التزم به لعمه ، وطلب منه رفع يده عما امتلكه ، فامتنع حماد . ونتجت عن ذلك حروب بين باديس وعمه الذي تنكر لسيادة ومذهب الفاطميين وانتمى الى العباسيين .

وتوفي باديس سنة 406 هـ-1016 م والحرب قائمة .

ولم يناع المعز لدين الله الذي تولى السلطة وعمره ثماني سنوات عم أبيه الملك في قلعة بني حماد لصغرسنه ، وهكذا تكونت دولة صنهاجية ، بالقسم الغربي وعاصمتها قلعة بني حماد . وقد ظلت هذه الدولة قائمة الذات حتى زحف بني هلال على افريقية فنقلت العاصمة الى مدينة بجاية وأسست بها أفخم القصور كقصر المنار وقصر السلام . ولم يلحقها مالحق أحتيا بالقيروان من تخريب وضعف حتى هجوم الموحدون سنة 598 هـ-1152م حيث الحقوها بدولتهم .

#### 4 ( علاقات ودية تتحول الى قطيعة بين الصنهاجيين والفاطميين

ظلت العلاقة الصنهاجية الفاطمية ودية ومتينة . وظل الصنهاجيون على ولائهم للفاطميين . يعتقدون نفس المذهب . ويتبعون نفس السياسة . وأرسل الامراء الصنهاجيون الى الخلفاء الفاطميين بمصر الهدايا الثمينة . ودعوا لهم على المنابر . وطبعوا اسماءهم بالنقود . وأنتههم الهدايا النادرة من الفاطميين وسجلات الاقرار بالامارة . وضافوا اليهم بعض الولايات كطرابلس وبرقة .

وعرفت افريقية في عهد المعز بن باديس نهضة وازدهاراً وأتاه التقليد من الخليفة الفاطمي بمصر . ولقبه بشرف الدولة . ووافته الوفود من السودان وقيصر القسطنطينية تحمل اليه الهدايا الثمينة مما جعل شخصية المعز تبرز فيعتد بنفسه . اصف الى ذلك ما لازدهار الحياة الاقتصادية من اثر في تقوية هذا الاعتداد بالنفس . وما اظهره الفاطميون من تقاعس في نجدة الصنهاجيين في حروبهم ضد بني حماد الانفصاليين .

47 دينار المعز بن باديس



ضرب بالقيروان سنة 442هـ-1050م كتب عليه لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله ، بمدينة عز الاسلام والقيروان ، وكتب على الوجه الخلفي ومن يتبع غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه .

كما اننا نعلم ماللمذهب المالكي من انتشار وتاصل في النفوس . مما دفع سكان القيروان المالكيين الى الهجوم سنة 435 هـ - 1043م على أهل الشيعة فقتلوا منهم عددا كبيرا ومثلوا

بهم . وانتشر هذا الاضطهاد الى عدة مدن وقرى اخرى بافريقية . 48

كل هذه الاسباب حملت المعز بن باديس الى مجاراة الاغلبية من الشعب وتأييد المالكيين . والتكسر لمذهب الشيعة وسب الفاطميين على المنابر . وأجبر الناس على اتباع مذهب الامام مالك بن أنس قطعاً للخلافات المذهبية وأمر أئمة المساجد بالدعاء للخليفة

العباسي القائم بأمر الله الذي أرسل إليه اعترافاً بإمارته واستقلال بلاده . ومحا أسماء الخلفاء الفاطميين من النقود وطبع نقوداً جديدة كتب على وجهها الأول : ومن يتبع غير الإسلام ديناً ، فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين « وفي الوجه الثاني : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فهل توقع ابن باديس العواقب الخطيرة لهذا القرار ؟ 47

#### 47 قتل الشيعة لابن زنجي الكاتب

سقى الغيظ في طي الضمير المكنم  
دماء كلاب حللت في المحرم  
فلا أرق الله الدموع التي جرت  
اسى وجوى فيما اريق من الدم  
من القيروانيين في المنصب الذي  
نمى والى خيبر البرية ينتمي  
وكنا نظن الكفر في جاهلية  
فعمسا لكفر جاهلي مخضرم  
سببتم عتقا والامامين بعده  
فلم تعتقوا يوم الحريق المضم  
وسؤتم نبي الله في خير اهله  
وافضل بكر في النساء وایم  
وكم عاثر منكم اذا صافح الثرى  
من الذعر قلنا لليدين وللهم  
فلا نطق في الارض اخفى مكانكم  
ولا شاهق يرقى اليه بسلم  
لقد رفضتكم كل ارض وبقعة  
وقد صرخت منكم بقاع جهنم

#### II الحصار الصنهاجة في العهد الاول : 49 50 51 52

لقد تولى البربر-ممثلين في قبيلة صنهاجة-الحكم بأفريقية ، وأظهروا قدرة على ادارة البلاد معتمدين على التأيد الشعبي ، فازدهرت في عهدهم-رغم النزاع القبلي التقليدي بين صنهاجة وزناتة-الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية .

#### 1 الحياة الاقتصادية :

مما شجع المعز بن باديس على التنكر للفاطميين ازدهار الحياة الاقتصادية الذي كان نتيجة من نتائج استتباب الامن واهتمام الناس بشؤونهم فكثرت الانتاج وأصبحت الدولة

قوية .

ذلك ان الحياة الاقتصادية التي عرفت انطلاقا في العهد الأغلبي . وتباطأت في العهد الفاطمي . وتراجعت بسبب ثورة صاحب الحمار . عادت الى الانطلاق من جديد . فكثر زراعة الحبوب خاصة في سهول مجردة وجهة باجة وسهول القيروان وقمودة وامتدت غابات شاسعة من أشجار الزيتون من تونس الى صفاقس وحول القيروان . أما الجريد فقد كان موطن التمور الجديدة . وغطت أشجار القوارص والفواكه بساتين تونس وزغوان والوطن القبلي والقيروان وقابس . واهتم الصنهاجيون بالري فبنيت الصهاريج والقنوات وحفرت الآبار ونظم الري .

أما في الميدان الصناعي فقد اشتهرت افريقية منذ العهد الاغلبى بجودة منسوجاتها . وتأكدت هذه الشهرة وتعددت مراكز المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية الى جانب صناعة الزرابي الرفيعة والادوات الخزفية والرجاجية والنحاسية .

وقام الصنهاجيون بمد الطرق وبناء الجسور والحصون والأسوار . وقد نشطت التجارة نتيجة كثرة الانتاج وتنوعه وتعددت الاسواق . ونظمت منذ عهد المعز لدين الله الفاطمي لسهل على الدولة جباية المكوس .

ولقد كانت الحالة المالية حسنة جدا اذ كانت تمول من الضرائب التي تتحصل عليها من القمارق والانتاج الفلاحي والتجاري وشرعية الرعي . ولم تؤثر الاموال الطائلة التي أخذها الفاطميون معهم الى مصر على حالة البلاد الاقتصادية في العهد الصنهاجي .

### الحياة الاجتماعية

انتقل الصنهاجيون من المغرب الاوسط الى سكنى القيروان عندما تولوا السلطة . وسكن امراؤهم قصور صبة الجميلة . وهكذا استقر الصنهاجيون بعد حياة الترحال . وتعودوا على حياة المدن بترفها واحتفالاتها . احتفلوا بالاعیاد على غرار ما كان يقع في عهد الفاطميين الذين أعطوا أهمية كبرى لهذه الاحتفالات فزينوا واجهات المحلات بالاقمشة الثمينة والزرابي الجميلة واستعرضوا الجنود والفرسان والخيول . وعرضوا الحيوانات الغريبة النادرة والخيول العربية الأصيلة .

كما احتفل الامراء الصنهاجيون بورود سجلات الاقرار بالامارة وبالهدايا التي ترد عليهم من الخلفاء الفاطميين بمصر . فيزعون الاموال على الناس . ويعرضون الهدايا على الشعب . كما أعقدوا الاموال على الشعراء والفنانين .

كتابة كوفية من العهد الضهاجي  
( القرن XI XII م )



51



50



فانوس من البرنز مزخرف بأشكال هندسية وزهرية  
كتب عليه اسم المعزين باديس . القبروان القرن XI م

تاج عمود رخامي مزخرف من العهد الضهاجي

( القرن XI XII م ) 150



52

صفحة من مصحف الحاضنة ( حاضنة المعز بن باديس )  
 كتبه علي ابن أحمد الوراق كتب عليها  
 ... المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير  
 المغضوب عليهم ولا الضالين »  
 أما الورقة الاولى من كل جزء من أجزاء المصحف فقد  
 كتب عليها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتب هذا المصحف  
 وشكله ورسمه وذهبه وجلّسه علي بن أحمد الوراق  
 للحاضنة الجليلة - حفظها الله - علي يدي ( درة )  
 الكاتبة سلمها الله ، فرحم الله من قرأ فيه ودعا لهما  
 بالرحمة والمغفرة والنجاة من عذاب النار ، آمين رب  
 العالمين وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وسلم تسليما .

ونحر المعز بن باديس خمسين ناقة ومائة بقرة وألف شاة وزعها على الناس عندما  
 توفيت جدته التي تولت تربيته .

وكان الأمراء الصنهاجيون يخرجون في جولات تفقدية يطلعون خلالها على حالة  
 الناس . وقد أسقط بعض الأمراء بعض الضرائب على أهل البادية رفقاً بهم وتحبباً  
 لقلوبهم . كما بنوا ماوي للعجز .

وهكذا كانت علاقتهم بالناس علاقة اتصال مباشر وأخذ باليد فعاشوا في أمن  
 ورفاهية .

أما العنصر العربي فقد تضاعف نتيجة الهجرة إلى مصر مع الفاطميين وانتزاع السلطة منهم  
 بتأسيس أول دولة بربرية بالقير وان .

### 3 الحياة الثقافية

برز في العهد الصنهاجي شاعران كبيران أعطيا مركزا مرموقا للأدب العربي بأفريقية هما : ابن شرف وابن رشيق صاحب كتاب العمدة . وقد عاشا في القصور الصنهاجية كما اشتهر في الأدب ابراهيم الحصري .

أما الطبيب ابن الجزائر فقد ولد في بداية القرن الحادي عشر من عائلة قيروانية اشتهرت بالطب . وقد اشتهر بأبحاثه ومؤلفاته وقدم أجل الخدمات للطب والعلوم كما اشتهر في الطب أمية بن عبدالعزيز المهدي .

واشتهر في العلوم الدينية الولي الصالح محرز بن خلف . وبلغ درجة الاجتهاد الامام المازري . وقد شجع على هذه النهضة الادبية والفكرية الامراء الصنهاجيون بل ان بعض الامراء اشتغلوا بالأدب وقروضوا الشعر . واصبحت القيروان وجهة العالم وطالب العلم والشاعر والاديب والفنان . والتقى فيها العراقي بالاندلسي والمصري بالشامي والمغربي والرومي والسوداني . وكان لبقية المدن الحظ الوافر من هذه الحضارة ومشاركة فعالة في انمايتها .

ان التحسينات والترميمات التي ادخلت على جامع عقبة بن نافع وبقايا قصور صيرة لخير دليل على ما وصل اليه الفن المعماري في العهد الصنهاجي . ويمكن ان نلاحظ اليوم مقصورة جامع القيروان الخشبية وابوابه المزخرفة .

تري هل سيتواصل هذا الازدهار الذي عرفته افريقية في العهد الصنهاجي ؟<sup>53</sup>

#### ٤ محرز بن خلف يصف اطلال مدينة قرطاج

خيلي مرا بالمدينة واسمعا  
مدينة قرطاجنة ثم ودعا  
طلولا بها تبكي لفقدان أهلها  
كما ندب الاطلال كسرى وتبعها  
وقولا لها : ما بال ربك دارسا  
وما بال وفد قد بناك وودعا  
وخلاك من بعد اجتماع وغطاة  
ومن بعد تشييد خلاء وبلقعا  
تصفق فيك الريح من كل جانب  
وفرقتك الدهر ما قد تجمعنا



## أزمة الدولة الصنهاجية

### I الزحف الهلالي على افريقية

« وسارت قبائل ذياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال الى افريقية كالجراد المنتشرا يمرون بشيء الأأتوا عليه حتى وصلوا الى افريقية سنة ثلاث واربعين واربعمائة » •

ابن خلدون كتاب العبرج 6ص 31

#### (1) أسباب الزحف

تنكر المعز بن باديس للفاطميين . الذين ولوا قبيلة مينهاجة السلطة والنفوذ . وناصروها على غيرها من القبائل البربرية . ووقف موقف المؤيد لاضطهاد الشيعة مجارة للراي العام . وحمل الناس على اعتناق مذهب الامام مالك ابن انس دون غيره من المذاهب حسما للخلافات المذهبية والانقسامات السياسية .  
ومحا أسماء الفاطميين من النقود . وألغى الدعاء لهم على المناير . وأيد الخليفة العباسي .  
و ضرب النقود باسمه . ودعا له على المناير . فارسل اليه الخليفة العباسي القائم بامر الله اعترافا باستقلاله وسيادة الصنهاجيين على افريقية .

وقد شجعت الحالة الاقتصادية المزدهرة المعز بن باديس على اعلان هذا الموقف الذي يمثل ثورة على الفاطميين واستقلالاً سياسياً عنهم الى جانب الاستقلال المذهبي . استنكر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله موقف المعز واغتاض لذلك . ففكر في وسيلة ينتقم بها من المعز الذي وصفه بالعبد الابق دون أن يكلفه ذلك مشقة أو نفقات •  
وكان يقطن الصعيد المصري قبائل عربية قد اتعبت الدولة الفاطمية بمصر لعدم امتثالها للقوانين والنظم السائدة . وبغاراتها المتكررة ونهبها وسلبها . وكان الفاطميون قد نقلوا هذه القبائل من الحجاز بعد أن نهبت مكة وأسكنوها الصعيد المصري . فعاثت فيه فساداً ونهباً وسلباً .

تلك هي قبائل بني هلال وسليم وزغبة ورياح . وانتقاماً من الصنهاجيين الانفصاليين . وتخلصاً من اتعاب الاعراب . ونظراً لتدهور الحالة الاقتصادية بمصر مما لا يساعد على ارسال جيش الى افريقية . أشار الوزير الداهية أبو الحسن علي اليازوري على الخليفة الفاطمي بتسريح هذه القبائل لتجتاز النيل في اتجاه افريقية . بلد الخيرات - وتنتقم من المعز بن باديس وبقطعها ما تحتله منها . 55

خطب للخليفة العباسي القائم ( - 467 هـ ) على منبر جامع القيروان .  
 وجاء في الخطبة : « اللهم العن الفسقة الكفار والمارقين الفجار . أعداء الدين وانصار  
 الشيطان . المخالفين لامره والناقضين لعهدده . المتبعين غير سبيله . والمبدلين كتابه .  
 اللهم عنهم لعنا وبيلا واحزهم خزيا عريضا طويلا . اللهم ان سيدنا أبا تميم المعز بن  
 باديس بن المنصور القائم لديك والناصر لسنة نبيك . والرافع لواء أوليائك . يقول مصدقا  
 لكتابك وتابعا لامرك مدافعا لمن غير الدين وسلك غير سبيل الراشدين المؤمنين : يا ايها  
 الكافرون لا اعبد ما تعبدون .  
 ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص 289

55 ينسب ابن الاثير الى اليازوري هذه الرسالة الى المعز « اما بعد فقد ارسلنا اليكم خيولا  
 فحولا وحملنا عليها رجلا كهولا ليقضي الله امرا كان مفعولا » .

ولقد خلدت زحفة بني هلال هذه في أقاصيص شعبية لعب فيها الخيال دوراً كبيراً .  
 وهي أقاصيص فيها البطولة والشجاعة والمحبة والمعاناة والصبر ومن ابطالها حسن الهلالي  
 وبوعلي وبوزيد وذياب والجازية الهلالية وخليفة الزناتي وسعدى بنت خليفة . 56

56 قال ذياب لسعدي عندما صرع والدها خليفة الزناتي :

سيدك جانبي وجيته .

على خيل قدر والرجال صيود .

ضربني بحربة تلقط البلا .

خلف في جديد اللباس هرود .

ضربته بحربة تلقط البلا .

خلبت دمه على الحماد جمود .

نزلت يا بنتي وبغيت نواده .

لقيت ضربي ما خلف جود .

لا تبكي يا سعدي احسيني اليوم نا مثل بوك .

من اقاصيص بني هلال جمعها الطاهر ضيغة

## ( 2 ) عملية الزحف :

لقد كانت افريقية . منذ القديم . محط انظار الشعوب الطامعة في خيراتها .  
 ومرة أخرى يكون هذا العامل أحد الاسباب في زحف بني هلال . بعد ان ترددت  
 بالشرق كثرة خيراتها . وطيب مناخها . وخضرة اراضيها . فطمع فيها بنو هلال .  
 وانطلقوا بعياهم وأرزاقهم نحوها سنة 440 هـ - 1048 م . ولم يلاقوا مقاومة تذكر

ببرقة وطرابلس . فواصلوا زحفهم نحو افريقية .  
 وفكر المعز بن باديس في استمالة الهلاليين . والتفاوض معهم . غير انهم كانوا  
 بدوا لا يستقر لهم قرار ولا رأي . فأحس بالخطر . وأعد جيشاً قويا من الزنوج والصنهاجين  
 والزناتيين . والتقى بهم في حيدران بين قابس وصفاقس سنة 443 هـ - 1048 م .  
 ولكن زناتة خذلته . ولم يبق معه غير عبيده . فكانت الهزيمة عليه وفر راجعا الى القيروان  
 محتميا بها .

وفي ذلك يقول شاعر بني هلال :

وان ابن باديس لأحزم فـارس

لعمري ولكن ما لديه رجال

ثلاثة آلاف لنا هزمت له

ثلاثين ألفا . ان ذا لمحال

وواصلت القبائل زحفها ميممة القيروان . وحاصرتها . وانتشرت بعضها تحتل  
 المدن الاخرى وتقتسم البلاد . وتمنع المدد عن القيروان . فاضطر المعز الى مغادرة  
 القيروان والالتجاء الى المهديّة وكان بها ابنه تميم واليا . ودخل بنو هلال القيروان ونهبوها  
 وخرّبوها . 57

#### 57 رثاء القيروان

وسما اليها كل طرف ران	حسنت ولما اذ تكامل حسنها
امنوا عقاب الله في رمضان	فتكوا بأمة أحمد . اتراهم
سبي الحرّيم وكشفة النسوان	فاستحسنوا غدر الجوار وأثروا
أيدي العصاة بذلة وهوان	المسلمون مقسمون تنالهم
حتى اذا سئموا من الارسان	يستصرخون فلا يغاث صرخهم
من خوفهم ومصائب الالوان	خرجوا حفاة عائلدين يربهم
وبكل ارملة وكل حصان	هربوا بكل وليدة وفطيمة
تسبي العقول بطرفها الفتان	وبكل بكر كالمهاة غريرة
خرب المعاطن مظلم الازكان	والمسجد المعمور جامع عقبة
لصلاة خمس . لا ولا لأذان	قفرفما تغشاه - بعد - جماعة
نعم البناء والمبتنى والبانى	بيت بوحي الله كان بناؤه
بعد اجتماعهم على الاوطان	فتفرقوا ايدي سبا وتشتتوا

ابن رشيق القيرواني

### 3 ( نتائج الزحف :

تسببت سياسة المعز بن باديس في أعظم أزمة سياسية واقتصادية واجتماعية عرفتها البلاد : 58 59

58 : لما تغلب العرب على القيروان . واسلم المعز وتحول الى المهديّة . اضطرت افريقية نارا . واقتسمت العرب البلاد عمالات . وامتنع كثير من البلاد على ملك آل باديس مثل اهل سوسة وصفاقص وقابس .

ابن خلدون : التاريخ / ج 6 - ص 334

59

وجاء العرب فدخلوا البلد ( القيروان ) واستباحوه . واكتسحوا المكاسب . وخرّبوا المباني . وعاثوا في محاسنها . وطمسوا من الحسن والرونق معالمها . واستصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها . وشملوا بالعبث والنهب سائر من فيها . وتفرق اهلها في الاقطار . فغطمت الرزية وانتشر الداء وأعضل الخطب . ثم ارتحلوا الى المهديّة . فنزلوها . وضيقوا عليها بمنع المرافق وفساد السابلة . ثم حاربوا زناتة بعد صنهاجة . وغلبوهم على الضواحي . واتصلت الفتنة بينهم ٥٠٠ واضطرب امر افريقية . وخرّب عمرانها . وفسدت سابلتها .

ابن خلدون . كتاب العبر ، 6 : 31 35

### أ - انتشار الفوضى وتدهور الوضع الاقتصادي

انتشر بنوهلال وسليم وزغبة ورياح في انحاء البلاد . ينشرون الفوضى . ويعدمون الأمن : ويخربون المدن والقرى والأرياف . فاضطرت افريقيا نارا . ولم ينج من عبثهم وتخريبهم غير المدن الساحلية مثل تونس وسوسة والمهديّة وصفاقص وقابس . وان عرفت هذه المدن اضطرابات داخلية وحروباً . وتفسخ المجتمع حتى اصبحت احياء المدينة الواحدة تتنازع كما وقع بين اهل حي باب السويقة وأهل حي باب الجزيرة بتونس . وكثرت عصابات اللصوص والمجرمين . وغادر البلاد عدد كبير من المفكرين فارين بأنفسهم من الاضطهاد فالتحقوا بالاندلس وصقلية وغيرهما من الاقاليم .

وتدهورت الحالة الاقتصادية نتيجة هذه الاضطرابات وانعدام الأمن . فاهمل الناس الفلاحة اذ خربت وسائل الري . وانتهبت الحيوانات . وضعفت الصناعة والتجارة . وانتشرت المجاعات . وأكل الناس الميتة والحشائش . وثاروا على الحكام مطالبين بالقوت .

- تأسست دويلات بأهم المدن بعد ان انتزع الهلاليون أكبر جزء من افريقيقية :  
 : فأسس جبارة بن سرحان دولة بسوسة  
 . واستقل عامل صفاقس منصور البرغواطي .  
 : وتولى حكم قابس بكر بن كامل من قبيلة رياح . وظلت هذه الاسرة تحكم قابس حتى دخول  
 الموحدين افريقية .  
 . وأسس ابن الرند عامل قفصة دولة مستقلة ظلت هي ايضا قائمة الذات حتى قدوم الموحدين .  
 . والغريب ان بعض اللصوص والمجرمين توصلوا الى تأسيس دول كما فعل اللّخمي بمدينة  
 بنزرت .

وكانت هجومات القبائل العربية متتالية على هذه الدويلات فضيقت عليها الخناق . واضطرت  
 بعضها الى دفع الضرائب الى هذه القبائل لتأمين شرها . كما فعل بنو الرند بقفصة وبنو خراسان بتونس .  
 « ٥٥٠ كان ابورجاء الورد اللخمي عند اضطرام نار الفتنة بالعرب ... قد ضم اليه  
 جماعة من الدعار ... يضرب على النواحي بجهة بنزرت ويفرض على أهل القرى الاتاوات  
 بسبب ذلك ... وكان ببلد بنزرت فريقان . احدهما من لحم وهم قوم الورد وبقوا  
 فوضى واختلف امرهم . فبعثوا الى الورد في ان يقوم بامرهم فوصل الى بلدهم فاجتمعوا  
 عليه وأدخلوه حصن بنزرت . وقدموه على أنفسهم فحاطهم من العرب ودفع عن نواحيهم .  
 ابن خلدون : التاريخ ج 6 ص 345 -

« واقتسمت الاعراب بلاد افريقية سنة ست وأربعين وأربعمائة وكان لزغبة طرابلس  
 يليها ولمرداس بن رياح باجة وما يليها . ثم اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من تونس  
 الى المغرب وهم رياح وزغبة والمعلل وجشم وقررة والائنج والخلط وسفيان » .  
 ابن خلدون ج 6

خالفت سوسة وصار أهلها الى الشورى في أمرهم . وحاول المعز عبثا اخضاعها  
 بارسال اسطول ضخم من المهديّة احرق بمينائها نيفا وستين مركبا أكثرها لأهل سوسة .  
 وتعزير الاسطول بجيش هزمه أهل سوسة وأجالوا فيه السيف . انظر رحلة التيجاني : ص 29

### - بنو خراسان بتونس

استنجد أهل تونس سنة 450 هـ - 1058 م ببني حماد . وطلبوا منهم ارسال وال يتولى  
 تسيير شؤون تونس فعين الناصر الحمادي عليهم بعد تردد عبدالحق بن عبدالعزيز الخراساني من أصل  
 فارسي . فتلقب بلقب شيخ وساعده مجلس الجماعة في تسيير الادارة . وأوقف عبدالحق الخراساني  
 الهجومات الهلالية على تونس واصطلح معهم على أن يدفع لهم أتاوة معلومة . وكان الهلاليون  
 قد أسسوا دولة بالمعلقة قرب تونس تهديدا لهذه الأخيرة .  
 وأعترف الخراساني بامارة تميم بن المعز الصنهاجي بعد حصار تونس .

وتوارث بنو خراسان الحكم حتى قدوم الموحدين . وقد عرفت تونس في عهدهم نسبيا استقرارا وأمانا مما جعل عدداً كبيراً من أهل القيروان وخاصة العلماء يلتجئون إليها . وأهتم بنو خراسان بالعمارة فأسسوا جامع القصر وأبواب جامع الزيتونة الشرقية والغربية والجوفية ، وجامع المهراس القريب من باب البحر وقبة سيدي بوخريسان . كما أسسوا الأسواق واهتموا بالتجارة .

### - الدولة الصنهاجية :

تقلص نفوذ الصنهاجيين وانحصر بمدينة المهديّة بعد أن انفصلت عنهم أهم المدن . وتأسست بها دويلات ، كونها الأعراب أو الولاة الصنهاجيون أو قواد الجيش . وقد حاول الصنهاجيون استرجاع نفوذهم على هذه المدن التي انفصلت ولكن محاولاتهم لم تأت بنتيجة أو أتت بنتيجة وقتية . إذ سرعان ما تعود هذه المدن إلى الانفصال من جديد . وتولى السلطة عدد من الأمراء الصنهاجيين فحاولوا تدارك الوضع وكانوا أسطولا لاسترجاع ما انتزع منهم . وكانوا طيلة حكمهم في صراع مستمر مع الهلاليين أو المدن الانفصالية أو الحماديين أو النورمان .

كما أن يحيى بن تميم بن المعز أعاد الدعوة إلى الفاطميين من جديد . وتبادل الهدايا مع الخلفاء الفاطميين . ولكن ذلك كله لم يمنع الدولة من التدهور والسقوط .

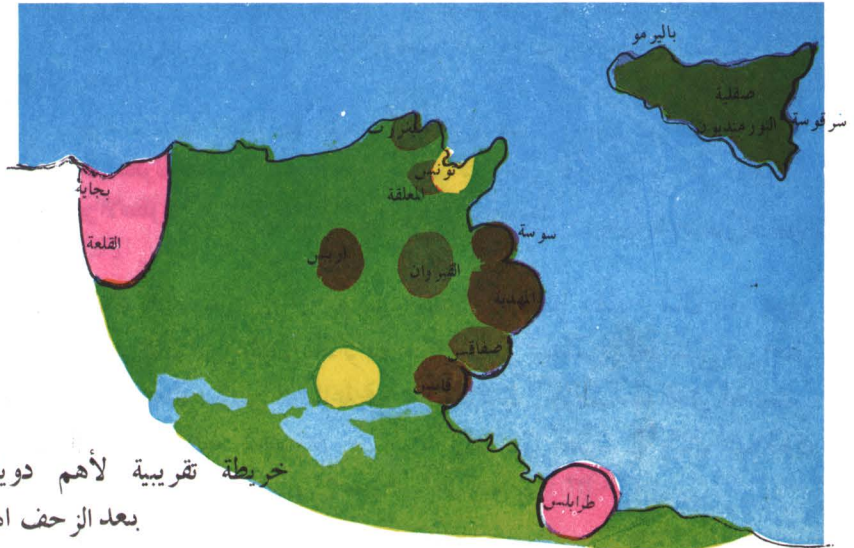
### 63 أمراء قابس :

٥٠٠م خالفت قابس بعد ذلك على تميم . ورجعت إلى طاعة العرب واختلف

عليها أمراءهم فوليها مكّي بن كامل بن جامع . وهو الذي أجاز حمويين مليل البرغواطي

الثائر بصفاقس لما أخرجه منها تميم بن المعز . ثم وليها بعده ابنه رافع بن مكّي .

رحلة التيجاني ص



خريطة تقريبية لأهم دويلات افريقية بعد الزحف الهلالي

68 ديناراً ورجار الثاني الترماني ضرباً بالمهديّة سنة 543 هـ 1148 م كتب على الأول : الطوق

ضرب بأمر الملك المعظم روجار المعتز بالله بمدينة المهديّة سنة ثلث أربعين خمسمائة

الطوق : الحمد لله حمده كما هو مستحقه

الوسط : المعتز بالله

وأقام المعز بالمهدية . وانتزى الثوار في البلاد . فغلب حمون بن مليل البرغواطي على مدينة صفاقس ، وملكها سنة احدى وخمسين . وخالفت سوسة . وصار اهلها الى الشورى في امرهم . وصارت تونس آخرا الى ولاية الناصر بن علناس ابن حماد صاحب القلعة . وولى عليهم عبد الحق بن خراسان فاستبد بها . واستقرت في ملكه وملك بنيه . وتغلب موسى بن يحيى على قابس . وصار عاملها المعز بن محمد الصنهاجي الى ولايته وأخوه ابراهيم من بعده ٥٥ والثالث ملك آل باديس . وانقسم في الثوار ٥٥٥ وهلك المعز سنة اربع وخمسين (واربعمائة) ابن خلدون - ن . م : 326

### ج - تعريب افريقية :

لئن كان للزحف الهلالي نتائج سلبية فانه كان له نتيجة ايجابية على الأقل . ذلك ان انتقال عدد كبير من بني هلال ورياح وزغبة وسليم وغيرهم من القبائل العربية باسرها وأرزاقها نحو افريقية . واختلاط هذه القبائل باسرى بربرية كان عاملا مهما في ترسيخ اللغة العربية وتراجع البربرية التي ظلت لغة الشعب الى ذلك الوقت . وفي مزج الدماء البربرية بالعربية . 66 66 وصارت قبيلة هوارة طواعن في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزي . وسكنى الخيام . وركوب الخيل . وكسب الابل . وممارسة الحروب . وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلوثهم وقد نسوا رطانة البربر . واستبدلوا منها بفصاحة العرب . فلا يكاد يفرق بينهم . ابن خلدون - كتاب العبر ، 6 : 288

### II الاحتلال النور مندي

كان للزحف الهلالي وللتخريب الذي أحدثوه بافريقية والانقسامات الداخلية الأثر الفعال والسبب الرئيسي في احتلال النورمان ( النورمانيين ) جزيرة صقلية سنة 484 هـ - 1091 م بعد ان ظلت قرابة الثلاثة قرون تحت سلطة المسلمين منذ ان فتحها الاغالبية سنة 212 هـ - 827 م . والنورمان قبائل جرمانية قدمت من شمال اوربا زحفت نحو الجنوب حتى وصلت صقلية . وأصبح مسلمو المغرب العربي في حالة دفاع عن ممتلكاتهم بعد ان كانوا ولمدة قرون أسياد البحر المتوسط وخاصة حوضه الغربي . وقد حاول الصنهاجيون تأسيس أسطول كبير ونجدة مسلمي صقلية غير ان محاولاتهم باءت بالفشل وفقدت صقلية نهائيا .

الثاني  
الطوق والوجه كالاول  
الوسط : الملك رجار



ولم تات القرصنة البحرية الصنهاجية بنتيجة بل زادت في تعكير الجوود دفعت روجار الثاني Roger ملك صقلية الى الانتقام واحتلال جزيرة جربة سنة 530 هـ - 1135 م واحتلال مدينة طرابلس وقابس وصفاقس سنة 543 هـ - 1148 م .

واضطر الامير الصنهاجي الحسن بن علي بن يحيى نتيجة الغارات المتكررة عليه الى مغادرة المهديّة التي احتلها النرمان على أثر خروجه منها ، واتجه الحسن نحو المعلقة بالقرب من تونس ثم الى الجزائر ومكث بها حتى وصول الموحدين الى المغرب الاوسط واحتلالهم له . وأقام Roger II روجار الثاني ملك النرمان بالمهديّة وسكن قصورها الجميلة وضرب النقود باسمه وتلقب بالمعز بالله 68. 69

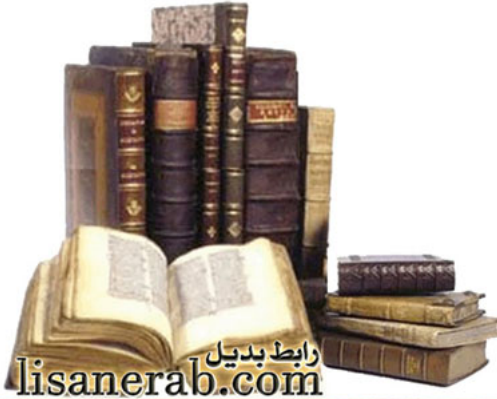
واستسلمت له بعد كفاح شعبي مريمدين الساحل الشرقي بتونس ما عدا تونس وقابية وعين عليها عمالا وجبى الاموال

وظلت البلاد مشتتة الاوصال منعومة الأمن يتنازع السلطنة بها النرمنديون والصنهاجيون وقبائل بني هلال حتى انقذها الموحدون بقيادة عبدالمؤمن بن علي الكومي سنة 555 هـ - 1160 م فأطرد النرمان من افريقية وشتت القبائل الهلالية واعاد الأمن والاطمئنان الى النفوس ووحد المغرب العربي من جديد تحت لواء الموحدين .

#### الفهرست

3	المحور الاول	ظهور الاسلام وانتشاره
5		الجزيرة العربية قبل الاسلام
16		حياة الرسول
33		الخلفاء الراشدون
49	المحور الثاني	الخلافة الأموية
50		انتصاب الدولة الأموية
57		تنظيم الدولة والحضارة الأموية
62		الفتوحات الاسلامية في عهد الدولة الأموية
71		عهد الولاة بأفريقية وعهد الأمراء بالاندلس
79	المحور الثالث	الخلافة العباسية
80		الدولة العباسية
89		تنظيم الدولة والحضارة العباسية
98	المحور الرابع	افريقية الاسلامية واشعاع القيروان
99		الامارات المغربية في القرن التاسع
117		مظاهر الحضارة الاسلامية بالقيروان
130		ظهور الحركة الفاطمية وانتصاب الفاطميين
145		الدولة الصنهاجية
153		ازمة الدولة الصنهاجية





رابطہ بدیل  
lisanerab.com



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



twitter مكتبة لسان العرب



facebook مكتبة لسان العرب



instagram مكتبة لسان العرب



جميع الحقوق محفوظة :  
المركز القومي للبيداغوجي

